



جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

الأمومة دراسة قرآنية موضوعية

إعداد

لقاء أيسر فوزي جعفر

إشراف

أ. د. محسن الخالدي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين (عام) بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس - فلسطين.

2023م

الأمومة

دراسة قرآنية موضوعية

إعداد

لقاء أيسر فوزي جعفر

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2023/04/17، وأجيزت.

أ. د. محسن الخالدي

المشرف الرئيسي

د. زهران زهران

الممتحن الخارجي

د. محمد راغب الجيطان

الممتحن الداخلي

التوقيع

التوقيع

التوقيع

الإهداء

إلى من أحمل اسمه بكل اعتزاز، ومن عرق جبينه حتى نسج لي من الحياة ألوانا، إلى من علمني كيف

بالحياة أسير إليك أبي الغالي

إلى التي كان دعاؤها سر نجاحي، وحنانها بلسم جراحي، إلى التي رافقتني نصائحها وأمدتني برضاها،

إليك أُمي الحبيبة

إلى الداعم الأول، رفيق درب وصديق الأيام، الذي ساند وصبر بلا كلل أو ملل، إليك زوجي العزيز

إلى شموع حياتي وزهرة أيامي، ورفقاء طفولتي، إخوتي (جعفر، وصبحي)، وأخواتي (أشواق، وحنين)

إلى بهجة حياتي وزينتها، إلى الطفولة التي ملأت عالمي وأنارته، إليكم أبنائي (عمرو، وجنى)

إلى أخواتي في الله - صديقاتي -

إلى جميع الباحثين، وطلبة العلم أهدى إليكم ثمرة جهدي البحثي

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي وفقني وأعانني على إتمام هذا البحث، والشكر له أولاً وآخراً لله عز وجل القائل في كتابه:

﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: 172].

وأخص بالشكر والامتنان الأستاذ الدكتور محسن الخالدي؛ الذي جاد عليّ بوقته وعلمه أثناء إشرافه على هذه الرسالة، فأكرمني بحلمه وصبره، فنصح ونقد وصحح ووجه، وبذل قصارى جهده لإنجاح هذا العمل وإكماله وإتمامه، بارك الله في علمه وعمله، وجعله في ميزان حسناته.

كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى فضيلة المناقشين لهذه الرسالة:

الدكتور: زهران زهران

والدكتور: محمد الجيطان

وفي هذا المقام أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل من ساهم في تنقيح هذا العمل من أساتذة وزملاء وبقاوة شكر أقدّمها لكل أم ومربية، ضحت بالغالي والنفيس، وتخطت الصعاب لتعدّ أبناء ملتزمين، بشرع الله متمسكين وأسأل الله تعالى أن يجزي الجميع خير الجزاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

الأمومة دراسة قرآنية موضوعية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: لقاء أيسر فوزي جعفر

التوقيع: لقاء جعفر

التاريخ: 2023/04/17

فهرس المحتويات

ج	الإهداء
د	الشكر والتقدير
هـ	الإقرار
و	فهرس المحتويات
ح	فهرس الملاحق
ط	الملخص
1	مقدمة
7	الفصل الأول: مفهوم الأمومة ودلالة ورودها في القرآن الكريم
7	المبحث الأول: معنى الأمومة لغةً واصطلاحاً
7	المطلب الأول: الأمومة لغةً
9	المطلب الثاني: الأمومة اصطلاحاً
11	المبحث الثاني: مادة أم في القرآن الكريم
14	المبحث الثالث: الألفاظ ذات الصلة
16	الفصل الثاني: مقومات الأمومة الناجحة في القرآن الكريم
16	تمهيد
18	المبحث الأول: النية الخالصة لوجه الله في تربية الأبناء
24	المبحث الثاني: الصبر وقوة التحمل على تربية الأبناء
29	المبحث الثالث: تربية الأبناء بالقدوة
34	المبحث الرابع: عدم الإضرار بالأبناء
37	المبحث الخامس: الدعاء للأبناء
44	الفصل الثالث: واجبات الأمّ وحقوقها في القرآن الكريم
44	المبحث الأول: واجبات الأمّ تجاه أبنائها
44	المطلب الأول: تربية الأبناء على طاعة الله ورسوله:
48	المطلب الثاني: الإعداد البدني للأبناء
51	المطلب الثالث: الإعداد النفسي للأبناء
53	المطلب الرابع: رعاية الأبناء والعدل بينهم
56	المبحث الثاني: حقوق الأم
56	المطلب الأول: بر الأمّ والإحسان إليها
60	المطلب الثاني: حق الأمّ بالميراث

62.....	الفصل الرابع: جهود الأمّ وتضحياتها في القرآن الكريم
62.....	المبحث الأول: مشاق الحمل والإنجاب
71.....	الفصل الخامس: نماذج من الأمهات المذكورات القرآن
71.....	المبحث الأول: نماذج للأمومة الإيجابية:
88.....	المبحث الثاني: نموذج للأمومة السلبية
90.....	الخاتمة
92.....	قائمة المصادر والمراجع
105.....	الملاحق

فهرس الملاحق

105 ملحق (أ): الجداول

105 الجدول 1: تصريفات مادة (أم) في القرآن الكريم

الأمومة

دراسة قرآنية موضوعية

إعداد
لقاء أيسر جعفر
إشراف
أ. د. محسن الخالدي

الملخص

يهدف هذا البحث إلى التعرف على جميع الآيات القرآنية التي تحدثت عن الأمومة، وقد تم تبويبها وترتيبها وفقاً لموضوعاتها، وقسمت هذه الدراسة إلى خمسة فصول:

تناول الفصل الأول: بيان مفهوم الأمومة ودلالة ورودها في القرآن الكريم، فبين معنى الأمومة في اللغة ومعناها في الاصطلاح، وذكر الآيات التي وردت فيها مادة (أم) وموضوعها في القرآن الكريم ومعانيها، وذكر الألفاظ ذات الصلة بها وتفسيرها من كتب التفسير.

وتحدث الفصل الثاني عن أبرز مقومات الأمومة الناجحة في القرآن الكريم، فبدأ بالنية الخالصة لوجه الله فهي أساس كل عمل، ثم الحديث عن صبر الأم وقوة تحملها، وتربية أبنائها بالقدوة الحسنة، وعدم الإضرار بهم، واختتم بالدعاء لهم لما له من أهمية عظيمة ونتائج مرضية، وشمل الفصل التحذير من الدعاء عليهم.

وجاء الفصل الثالث: لبيان حقوق الأم وواجباتها من نظرة قرآنية، فذكر تربية الأبناء على طاعة الله ورسوله، وإعدادهم بدنياً، وتربيتهم نفسياً، وفي المقابل ذكر طاعة أبنائها لها وإحسانهم إليها، وبيّن أن من حقوقها حقها في الميراث.

وأما الفصل الرابع: جاء مبيناً للمشاق والصعوبات الغير محصورة التي تواجهها الأم، فكان بدايتها مشاق الحمل والإنجاب يليه مشاق الإرضاع، وذكر ما جاء في القرآن الكريم عن ذلك.

ويختتم الفصل الخامس: في سرد نماذج من الأمهات المذكورات في القرآن الكريم، فذكر نماذج للأمومة الإيجابية، كأم موسى عليهما السلام وصبرها على ما أمر الله، وأم مريم رضي الله عليها ونيتها الصادقة ابتغاءاً لمرضاة الله، وأم عيسى عليهما السلام وتوكلها على الله وصبرها، ونماذج للأمومة السلبية كزوجة نوح عليه السلام.

ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن المرأة حظيت بكامل حقوقها في ظل الدين الإسلامي، في وقت كانت المرأة في غابة ظلم موحشة، وفي زمن عمّ فيه مهانة المرأة ووأدها، فجاء الدين الحق ليرفع مقامها حتى تأخذ مكانة لم تعهدها من قبل، وأكرمها الله بحقوقها كاملة كما ينبغي لها، وأن الأسرة هي اللبنة الأساسية والأولى في بناء أي مجتمع، وأن أعظم مهمة ألقاها الله على عاتق الأم هي الأمومة، وهي مهمة لا يقوى عليها حتى الرجال، وفي القصص القرآني عن أخبار الأمهات ما يبرز صفة إخلاص النية عند الأم، فهي الصابرة المحتسبة على كل عمل تقوم به، لأن الأمهات اللواتي ذكرت قصصهن في القرآن يعلمن أن بالإخلاص تُكسب مرضاة الله وعظيم أجره، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن وابتغى وجهه، وأن الأم لها دور كبير في تربية أبنائها تربية صالحة مصلحة، فهي أساس البيت، وعليها أن تغرس حب الله ورسوله وطاعتها في قلوب أبنائها، وقد بينّ الدين الإسلامي أن للتربية النفسية أثر كبير في نشأة الأبناء

الكلمات المفتاحية: الأمومة، القرآن الكريم، مقومات، حقوق وواجبات، صعوبات، نماذج.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، الرازق الكريم، واسع العطاء الوهاب العظيم، الحمد لله الذي قدر كل شيء فأحسن تقديره، وخلق كل شيء فأكرم خلقه، له الحمد في الأولى والآخرة، لا إله إلا هو، كل شيء هالك إلا وجهه، وكل نعيم زائل إلا جنته، وصلِّ الله على سيدنا محمد خير الورى، وعلى آله وصحبه ومن تبعه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فقد أنزل الله القرآن الكريم هادياً ومرشداً لعباده إلى صراط قويم مستقيم، وفرقاً بين الحق والباطل، وجعل آياته العطرة نموذجاً يقتدي به عباده، ويستنبطون منه قواعدهم وأسهم في الحياة الدنيوية، ليكسبوا وينالوا الدرجات العلا في الآخرة، فيفوزوا بذلك فوزاً عظيماً.

فقد عني القرآن الكريم بذكر الأمِّ، فلم يكرمها أحد على مرِّ العصور كما كرمها الدين الإسلامي، ولم يعتن بها أحد كاعتناء القرآن بها.

فقد خلق الله سبحانه وتعالى المرأة وجعل لها مكانة عظيمة، وخصَّها بمنزلة كريمة، وأودع فيها غريزة جميلة، ألا وهي غريزة الأمومة، فهي من أقوى الغرائز التي فطرت عليها المرأة، لكنَّه عزَّ وجل لم يجعلها على إطلاقها، فوضع لها ضوابط ومقومات تسيِّر عليها لتكون أمّاً صالحَةً ومصلحةً، وتؤتي هذه الغريزة ثمرها، ومن هذه المقومات: إخلاص النية لله في أبنائها والصبر عليهم والدعاء لهم.

ولم ينس الإسلام حقوق المرأة وواجباتها، فأكرمها أمّاً وزوجةً وابنةً وأختاً، وأعطى الأمِّ من الحقوق ما لم يعط غيرها، وألزمها بواجبات أمرها بالالتزام بها، فلا يجوز لها التقصير أو التهاون بها، كترية أبنائها على طاعة الله ورسوله، وإعدادهم جسدياً، والعدل بينهم، ثمَّ كان من حقِّها الاحترام والتقدير، والطاعة والبرِّ من أبنائها في حياتهم، وإذا قدرَّ الله تعالى موت أبنائها في حياتها، فقد أوجب لها الشرع الحنيف حقاً في ميراثهم بعد مماتهم.

ولم يهمل القرآن الكريم تضحيات الأمّ ولم يغفل عن مشاقها، فذكر ما تعانيه الأمّ من الأمّ خلال حملها وأنها تزداد ضعفاً على ضعف، وبين مشاق الرضاعة وما يقدمه جسدها في سبيل رعاية رضيعها، وتنشئته وحمايته.

وذكر القرآن الكريم نماذج من الأمهات الساميات السامقات، كأُمّ موسى وأُمّ مريم وأُمّ عيسى عليهما السلام، ليكن مثلاً ونبراساً تقتدي به الأمهات على مرّ الدهور وفق تقلبات العصور.

فجاءت هذه الدراسة لتذكر مقومات الأمومة الناجحة، وتبين واجبات الأمّ وحقوقها، وتكشف المشاق والصعوبات التي تواجهها الأمّ، وتسرد قصص أمهات مؤمنات، وكلّ ذلك جاء في ضوء القرآن الكريم.

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية دراسة هذا الموضوع في جوانب عدة، منها:

1. تستقي هذه الدراسة أهميتها من أهمية الموضوع ذاته، فقد تناولت بالشرح والبيان التعريف بالأمومة ومكانتها في القرآن الكريم.
2. تأتي أهمية هذا الموضوع في زمن التخلف الفكري بأنّ الإسلام لم ينصف المرأة، ولم يعطها حقوقها، فحين أهمل بعض المسلمين المرأة دبّ الضعف والوهن في أوصال الأمة، وخارت قواها وهزلت.
3. وضع محددات ومعالم يمكن الاستفادة منها للمجتمع ككل، وللمتخصص أيضاً.

مشكلة الدراسة:

1. ما مقومات الأمومة الناجحة في القرآن الكريم؟
2. ما واجبات الأمّ وحقوقها في القرآن الكريم؟
3. ما جهود الأمّ وتضحياتها في القرآن الكريم؟
4. هل أورد القرآن نماذج تتضح من خلالها الأمومة؟

أهداف الدراسة:

1. إبراز مقومات الأمومة الناجحة في القرآن الكريم.
2. الإشارة إلى واجبات الأم، وحقوقها في القرآن الكريم.
3. استعراض جهود الأم وتضحياتها في القرآن الكريم.
4. عرض لنماذج من القرآن الكريم تتضح من خلالها الأمومة.

الدراسات السابقة:

على الرغم من أنّ الموضوع غاية في الأهمية؛ إلا أنه حظي بالقليل من الدراسات السابقة، حيث لم أجد دراسة وافية تؤصل الأمومة في القرآن الكريم، وتُفصّل مقومات وواجبات الأم وحقوقها في القرآن الكريم، وكان ما يتسنى لي الاطلاع عليه دراسات اقتصرت على عرض محدود مجتزئ للموضوع، من أهمها:

الدراسة الأولى: الأمومة في القرآن الكريم.¹

تحدثت هذه الدراسة عن الأم وآيات الله الدالة على قدرته وعلمه سبحانه وتعالى وحكمته، وتطرقت إلى الأم وهول القيامة، وقد ركزت الدراسة على الأمهات المذكورات في القرآن الكريم، وعرجت إلى حقوق الأم واجباتها.

وترى الباحثة أن هذه الرسالة بقيمتها العلمية لم تتطرق إلى بيان المقومات الناجحة للأمومة وسبل تربية الأبناء، فقد كان جوهرها ذكر قصص الأمهات الواردة في القرآن الكريم.

¹ مصطفى، نيفين محمد كمال علي، الأمومة في القرآن الكريم، مصر، جامعة عين شمس، كلية الاسن، 1991م.

الدراسة الثانية: الأمومة في القرآن الكريم والسنة النبوية.¹

بدأت هذه الدراسة في الحديث عن الأمّ ودورها في تنشئة أبنائها من الصغر، مروراً بالمراحل العمرية مختلفة الطباع، وعرّجت إلى مقاصد الإسلام من تشريع الزواج وكيفية اختيار الزوجة والأمّ المستقبلية، وتوسعت الدراسة للحديث عن حقوق الزوجة على زوجها وواجباتها، ومشروعية عملها خارج المنزل وأثر ذلك على الأسرة، وقد عرّج في موضوعه للحديث عن حرية المرأة ومساواتها بالرجل.

وترى الباحثه أن هذه الدراسة بمضمونها القيم وشمولها على عدة نواحي إلا أنها لم تركز على الأم من ناحية قرآنية فلم تذكر نماذج للأمّهات المذكورات في القرآن الكريم.

الدراسة الثالثة: الأمومة المعنوية في القرآن الكريم دراسة موضوعية²:

وقد ذكرت الدراسة أن (الأمّ)، في القرآن الكريم يطلق على الأصل الطيب والمقدس لكل شيء عظيم، فمكة المكرمة هي (أم القرى)؛ لأنها مهبط الرسالات السماوية التي اختزلها الله عز وجل في الإسلام الذي كان غاية الرسل والرسالات جميعاً، وأطلق الله تبارك وتعالى على خزائن علمه مصطلح (أم الكتاب)، وهي التي يصدر عنها كل ما هو مخلوق ومعلوم وما تحيط به العقول، وما لا تدركه الأبصار من أمر الدنيا والآخرة، فهي مستودع تنفيذ إرادة الله جل في علاه بين الكاف والنون، وعلى هذا النسق يفرق القرآن الكريم بين الأمّ والوالدة، من حيث إن الله عز وجل يطلق (الوالدة) على المرأة التي تنجب الطفل بغض النظر عن مواصفاتها، بل هي مجرد عملية إنجاب تدور بين الإنسان والحيوان حين يلتقي الذكر بالأنثى وما يتبع ذلك من حمل وإرضاع، وغيرها من المعاني لهذا اللفظ ومنها أمّهات المؤمنين، والأمّ المرضعة، والأمّ الهاوية ، فقد ركّزت الدراسة على دلالات لفظ (أمّ)، واستندت إلى كثير من الأحاديث النبوية الشريفة في عرض المادة العلمية.

¹ الزعبلوي، الدكتور محمد السيد محمد، الأمومة في القرآن الكريم والسنة النبوية، بيروت: دار ابن حزم، ط6، 1998م.

² رحيم، عبد الله إبراهيم، الأمومة المعنوية في القرآن الكريم دراسة موضوعية، جامعة الأنبار، كلية التربية للبنات، 2021م.

وترى الباحثة أنه على الرغم من حديث الدراسة عن الأمومة المعنوية في القرآن الكريم إلا أنها لم تطرق إلى الموضوع بصورة شاملة وموسعه.

الدراسة الرابعة: أحكام الأمومة في الفقه الإسلامي "النسب والحمل والرضاعة والحضانة"¹:

تتحدث الرسالة عن مفهوم الأمومة، والأحكام التي تتعلق بها من حيث ثبوت النسب، والحمل والرضاعة والحضانة، وقد أُفرد لكل جانب منها فصل خاص لتكون الرسالة مكونة من تمهيد وأربعة فصول، وقد خلصت الرسالة إلى ضرورة الاهتمام بهذا الجانب من الفقه، لما في إغفاله وتجاهله من آثار سلبية تعود على الأمّ وعلى المجتمع، كما خلصت إلى ضرورة البحث في المسائل المستجدة والتعاون بين الفقهاء وعلماء التربية والاجتماع، للوصول إلى نتائج دقيقة فيما يتعلق بتلك المسائل، وتوعية العامة بما توصل إليه الفقهاء من أحكام فيها، حتى يرتفع الجهل والظلم، ويكون الناس على بينة من أمرهم.

وترى الباحثة بأن ما يميز هذه الدراسة تناولها لعدة جوانب مهمة تتعلق بالأمّ في الشريعة الإسلامية، وتناولها للقضايا المعاصرة المتعلقة بتلك الجوانب، وجمع أقوال العلماء القدامى والمعاصرين وتوضيحها، وقد اعتنت بأقوال الفقهاء القدامى عناية بالغة، فالدراسة تركز على الجانب الفقهي، وهذه الدراسة قرآنية.

الدراسة الخامسة: مقومات الأمّ المربية في ضوء القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية المعاصرة.²

استهدفت هذه الدراسة الكشف عن مقومات الأمّ التربوية وتخصصت بذلك، وقد عرّفت بأبرز الأمهات المربيات في ضوء القرآن الكريم، توصلت بذلك إلى ضرورة صلاح الأمّ المربية، العودة إلى كتاب الله تعالى هو السبيل الوحيد لحل المشكلات الاجتماعية المعاصرة، ووضعت الأهداف التربوية لصلاح الأبناء، وضرورة توعية الأمّ بأثرها على أبنائها فهي القدوة الأولى لهم

¹ قاسم، ريم عصام محمد، أحكام الأمومة في الفقه الإسلامي "النسب والحمل والرضاعة والحضانة"، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2015م.

² القحطاني، نورة مسفر عبد الله، مقومات الأمّ العربية في ضوء القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية المعاصرة، السعودية: كلية التربية: جامعة الملك خالد، 2020م.

وترى الباحثة بأن ما يميز هذه الدراسة تناولها لعدة جوانب مهمة تتعلق بالأمّ في الشريعة الإسلامية، إلا أنها لم تذكر تبين الحقوق والواجبات المتعلقة بالأمّ.

منهج الدراسة:

قامت الدراسة على منهجين اثنين هما:

المنهج الاستقرائي: وذلك بجمع الآيات القرآنية التي تحدثت عن الأمّ والأمومة، لاستيعاب كل ملامح الدراسة وتحقيق أهدافها.

المنهج التحليلي: وذلك بتناول الآيات القرآنية التي تم استقراؤها بالتحليل؛ لتحليل ما فيها من دلالات متعلقة بموضوع الدراسة وجوانبها.

الفصل الأول

مفهوم الأمومة ودلالة ورودها في القرآن الكريم

المبحث الأول: معنى الأمومة لغةً واصطلاحاً

المطلب الأول: الأمومة لغةً

أصل الأمومة أمّ: قال ابن فارس: "أما الهمزة والميم فأصل واحد، يتفرع منه أربعة أبواب، وهي الأصل والمرجع والجماعة والدين، وهذه الأربعة متقاربة، وبعد ذلك أصول ثلاثة، وهي القامة والحين والقصد"¹.

ورد معنى الأمّ في اللغة على النحو التالي:

أولاً: الأصل: "فأمّ الشيء: أصله، ومكّة: أمّ القرى"².

ثانياً: القصد: وعرفها الزبيدي³ بقول: أمّه يؤمّه أمّا: قصده وتوجّه إليه، كائتمه وأممه وتأممه ويّممه وتيّمه... ومما ورد في حديث ابن عمر: "فمن كانت فتزته إلى الكتاب والسنة فلأمّ ما هو"⁴ أي: قصد الطريق المستقيم، أو أقيم الأمّ مقام المأموم أي: هو على طريق ينبغي أن يقصد، وفي حديث كعب: "فانطلقت أتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم"⁵، وفي حديثه أيضاً: "فتيّمت بها النثور"⁶ أي: قصدت،

¹ ابن فارس، أحمد بن فارس، (ت395هـ): معجم مقاييس اللغة. دار الفكر، ط1، 1979م. (21/1).

² الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت393هـ)، الصحاح، بيروت: دار العلم للملايين. ط4. 1990م. (1863/5).

³ ينظر: الزبيدي، أبو الفيض محمد الحسيني، (ت1205هـ)، تاج العروس، دار الهداية، (228-227/30).

⁴ أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، (ت241هـ) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة: دار الحديث، ط1، 1416هـ، أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، ح (6540)، (111/6). وقال المحقق: إسناده صحيح.

⁵ مسلم، بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، (ت261هـ)، صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، (كتاب التوبة: باب حديث توبة كعب بن مالك)، ح(2769)، (2120/4).

⁶ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (ت256هـ) صحيح البخاري، دار طوق النجاة ط1، 1442هـ، (كتاب المغازي: باب حديث كعب بن مالك)، ح(441)، (3/6).

وَتَيَمَّمْتُ الصَّعِيدَ لِلصَّلَاةِ، وَأَصْلُهُ التَّعَمُّدُ وَالتَّوَجُّي، ومعنى تيمموا في قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا

طَيِّبًا﴾ أصل التيمم القصد، يقال: تيممت فلانا إذا قصدته¹.

أي: أفضدوا لصعيد طيب، ولكنرة الاستعمال أصبح التيمم اسماً علماً لمسح الوجه واليدين بالتراب².

ثالثاً: السكن: ومنه قوله تعالى: ﴿فَأُمَّهُ هَآوِيَةٌ﴾ [القارعة: 9]، والمقصود بها جهنم، أي يأوي إليها كما

يأوي إلى أمه³

رابعاً: الوالدة: "والأم: الوالدة"⁴، "والأم به ولدته"⁵، "ويقال تأمم فلان أمًا، أي: اتخذ لنفسه أمًا"⁶.

خامساً: ما يضم إليه ما يليه: قال الفراهيدي: "كل شيء يضم إليه سائر ما يليه فإن العرب تسمي ذلك

الشيء أمًا"⁷

سادساً: المقدمة: "أم الكتاب هي فاتحة الكتاب لأنها هي المقدمة أمام كل سورة في جميع الصلوات وابتدئ

بها في المصحف فقدمت"⁸

سابعاً: الأمر: قال الهروي: "ويقال: ما أمي وأمّه؟ وما شكلي وشكله؟ أي: ما أمري وأمره لبعده مني، فلم

يتعرض لي؟"⁹

¹ ينظر: الخازن، أبو الحسن علي بن محمد، (ت: 741هـ) تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415هـ، (383/1).

² ينظر: الزبيدي، تاج العروس، (30/231-230).

³ ينظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن الكريم، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط1، 1964م، (167/20).

⁴ الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت 393هـ)، الصحاح، بيروت: دار العلم للملايين. ط4. 1990م. (1863/5).

⁵ الفيروز أبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب، (ت 817هـ)، القاموس المحيط، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005م، (686/1).

⁶ الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، (ت 170هـ)، العين، دار ومكتبة الهلال، ط1، (433/8).

⁷ المرجع السابق: (426/8)

⁸ ابن منظور: أبو الفضل، محمد بن مكرم، (ت: 711هـ)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ، (31/12).

⁹ الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد، (ت: 370هـ)، تهذيب اللغة، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م، (451/15)

ثامناً: الجامعة: "إذا قيل أم الشر فهي تجمع كل شر على وجه الأرض، وإذا قيل أم الخير فهي تجمع كل خير"¹.

وجمع أمّ "أمّات وأمّهات، زادوا الهاء، وقال بعضهم: الأمّهات فيمن يعقل، والأمّات بغير هاء فيمن لا يعقل، فالأمّهات للناس والأمّات للبهائم."²

قال أبو البقاء: "في معناها: كل امرأة رجع نسبك إليها بالولادة من جهة أبيك أو من جهة أمك"³.

وبعد هذه التعريفات اللغوية لمعنى الأمّ، ترى الباحثة أن الأم في اللغة تعني الأصل، أو القصد، أو السكن، أو الوالدة، أو ما يضمّ إليه ما يليه، أو المقدمة، أو الأمر، أو الجامعة.

المطلب الثاني: الأمومة اصطلاحاً

الأمّ في الاصطلاح لها معانٍ متعددة، وتزداد وضوحاً عند إلصاقها بسمة، أو كلمة أخرى فيقال: لغته الأمّ تعبيراً عن أصالة اللغة واتقانها، وبلده الأمّ أي أصل منبته ومكان ولادته الذي يحن إليه مهما غاب عنه، والحاجة أمّ الاختراع أي المصدر وأصل الشيء وأساسه الذي يقوم عليه، ويُضرب بها الأمثال فيقال: (أحنّ من أمّه) مثلاً للمحبة والعطف والرحمة والحماية والرعاية.

يقول المناوي: "الأمّ: الوالدة القريبة التي ولدته والبعيدة التي ولدت من ولدته، ولذلك قيل لحواء عليها السلام أمنا وإن كثرت الوسائط، وكل من كان أصلاً لوجود شيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه أم، ومن ثم قالوا أمّ الشيء أصله"⁴.

¹ ابن فارس: لسان العرب، (33/12).

² ابن فارس، لسان العرب، (29/12)

³ أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى، الكلبيات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ط1، 2000م، (187/1).

⁴ المناوي، عبد الرؤوف بن تاج، (ت: 1031هـ) التوقيف على مهمات التعاريف. القاهرة: عالم الكتب. ط1، 1990م. (62/1).

و"الأمّ اسم لكل أنثى لها عليك ولادة، فيدخل في ذلك الأمّ دنية، وأمهاؤها وجداتها وأم الأب وجداته وإن علون"¹.

أما الأمومة فقد عرفت بأنها: "نظام تعلق فيه مكانة الأمّ على مكانة الأب في الحكم، ويرجع فيه إلى الأمّ في النسب أو الوراثة"². وكان هذا سائداً في الشعوب البدائية.

وترى الباحثة أنّ مفهوم الأمومة في الاصطلاح: هو العلاقة بين المرأة وبين ما أنجبت من الأبناء.

وبعد بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة (أم) يتضح عدم وجود فرق بين التعريفين، فمثلاً من معاني الأمّ في اللغة الأصل، واصطلاحاً الأمّ هي الوالدة فهي أصل ولدها ومنها انبثق، كما اتضح أن جميع المعاني اللغوية لكلمة الأمّ مع المعنى الاصطلاحي. ومن أمثلتها، قوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ

هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: 7]، "أم الكتاب: أصله يُرَدُّ إليها غيرها"³.

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، (108/5).

² إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في القاهرة، (27/1).

³ البيضاوي، أبو سعيد عبد الله الشيرازي، (ت: 685)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ،

(6/2).

المبحث الثاني: مادة أم في القرآن الكريم

اختلف عرض مادة أم في القرآن الكريم على عدة تصنيفات، والجدول 1 -أنظر الملحق أ- يوضح هذه التصنيفات استناداً إلى كتاب الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي¹.

وبقراءة لإحصائية وعدد ما ذكر في القرآن الكريم من لفظ (الأم) ومعاني الأمومة، يتبين ما يأتي:

1. وردت تصنيفات الأم في القرآن الكريم في اثنتين وعشرين سورة.
2. وردت تصنيفات الأم في القرآن الكريم خمس وثلاثون مرة، ثلاث وعشرون مرة مكية، واثنان عشرة مرة مدنية.
3. لم يذكر لفظ الأمومة في القرآن الكريم، بل ورد على تصنيفات ومعان على النحو الآتي: أمه عشر مرات، أمهاتكم سبع مرات، أمهاتهم مرتان، أمك ثلاث مرات، أم الكتاب ثلاث مرات، أم موسى مرتان، ابن أم مرتين، أم القرى مرتان، أمي مرة، وأمها مرة، أمهات مرة واحدة.
4. الأم المراد بها الوالدة وردت في أربعة وعشرين موضعاً، ثلاثة مواضع في وصف خلق الإنسان، وسبعة مواضع في سرد قصة موسى عليه السلام، وخمسة مواضع ذكر فيها قصة عيسى، وموضعان ذكر فيهما بعض أهوال يوم القيامة، وأربعة مواضع ذكر فيهما المحرمات من النكاح، وموضعان تحدثا عن الظهار، وموضعان في حكم ميراث الأم، وموضعان للحديث عن بر الوالدين.
5. الأم المراد بها غير الوالدة وردت في سبعة مواضع، ثلاثة مواضع بمعنى مكة المكرمة، وثلاثة مواضع في وصف الكتاب، وموضع وصف فيه النار.
6. وردت كلمة الأمي في أربعة مواضع بصيغة المفرد والجمع، موضعين لوصف اليهود وذمهم، وموضعين لوصف العرب.

وقد وردت معاني (الأم) في القرآن الكريم على خمسة أوجه:¹

¹ ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، (ت: 1976م)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1945م، (79).

1. الأصل: ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: 4]، أي إن القرآن الكريم في اللوح المحفوظ محكم رفيع، لا يوجد به تغير أو نقص أو اختلاف.² وقوله تعالى: ﴿لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: 7]، أم القرى هي مكة، وسميت بذلك كونها أشرف وأطهر من باقي البلاد.³

2. الوالدة: ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَأُمُّهُ الْثُلُثُ﴾ [النساء: 11]، في هذه الآية إقرار من الله سبحانه وتعالى بميراث الأم ولدها، فيكون نصيبها الثلث، في حال توفي ولم يترك سوى أم وأب.⁴ وفي قوله تعالى: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [طه: 40]، أي فرددناك يا موسى إلى أمك بعد ما أصبحت بين آلي فرعون.⁵

3. المرضعة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ [النساء: 4]، وفي تفسير الآية أن الله حرم أربع عشرة امرأة، من جهة النسب سبعة، وسبعة من جهة السبب، فكانت الأم المرضعة إحدى السبعة من جهة النسب، والأم الظئر هنا المرضعة.⁶

4. مشابهة الأم في الحرمة والتعظيم. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: 6]، أي كأمهاتهم في الحرمة⁷.

¹ ينظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، (ت: 1984م)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لبنان: مؤسسة الرسالة، ط1، 1984م، (1/141-142).

² ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، (62/16).

³ ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ، (175/7).

⁴ ينظر: الرازي، محمد بن عمر، (ت: 606)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ، (516/9).

⁵ ينظر: الطبري، محمد بن جرير، (ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، (305/18).

⁶ ينظر: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت: 502هـ)، تفسير الراغب الأصفهاني، الرياض: دار الوطن، ط1، 2003هـ، (1163/3).

⁷ السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، (ت: 375هـ)، بحر العلوم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1993م، (38/3).

5. المرجع والمصير. ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّهُ هَآوِيَةٌ﴾ [القارعة: 7]، "النار له كالأم يأوي إليها"¹ يعني:

مصيره إلى النار"².

¹ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت:276)، غريب القرآن، دار الكتب العلمية، ط1، 1978، (537/1).

² السمرقندي، بحر العلوم، (505/3).

المبحث الثالث: الألفاظ ذات الصلة

ورد في القرآن الكريم ألفاظ ذات صلة بلفظ الأم وهي:

- الوالدات ووالدة ووالدتي، قال الجوهري: "والوالدة: الأم"¹، وقد وردت هذه الألفاظ ثلاث مرات، قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدَيْهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا أَنْ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: 233]. وقال تعالى: ﴿وَبِرًّا بِوَالِدَيْكَ﴾ [مريم: 32] أي أن الله جعل عيسى ابن مريم باراً

بوالدته محسناً لها.²

وذهب الإمام الرازي إلى أن في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ﴾ ثلاثة أقوال، الأول: جميع الوالدات، سواء كن متزوجات أم مطلقات... والقول الثاني: الوالدات المطلقات، والذي يدل على ذلك أن هذه الآية ذكرت بعد آية الطلاق... والقول الثالث: الأولى أن يُحمل على الزوجات في حال بقاء النكاح؛ لأن المطلقة لا تستحق الكسوة وإنما تستحق الأجرة.³

وهناك علاقة خصوص وعموم بين لفظ الأم ولفظ الوالدة، فالأم أعم من حيث أنها تطلق على الوالدة التي ولدت الإنسان مباشرة وغير مباشرة، وعلى المرأة الحنون وعلى المريية، وتطلق على كل شيء كان أصلاً

¹ الجوهري، الصحاح، (554/2).

² ينظر: الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، القاهرة: دار الصابوني، ط 1، 1417هـ، (447/2).

³ ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (458/6).

لغيره، بينما الوالدة لا تطلق إلا على التي ولدت الإنسان بصور مباشرة كالأم أو صورة غير مباشرة كالجدة.¹

- الوالدين والوالدان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: 13]، وقال: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: 7]، أي للرجال حصة مما ترك الوالدان -الأب والأم-، وكذلك للنساء نصيب مما تركوا.² وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: 23]، فقد أمر الله بالإحسان إلى الوالدين، "والإحسان نهاية البر، فيدخل فيه جميع ما يجب من الرعاية والعناية"³.

- أبوان: قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: 82].

¹ ينظر: حيدر، حسين عبدي، لفظ الأم في القرآن الكريم دراسة دلالية، (73 / 8)

² ينظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تفسير السعدي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ، (165/1)

³ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، دار ابن كثير: دمشق، ط1، 1414هـ، (342/1)

الفصل الثاني

مقومات الأمومة الناجحة في القرآن الكريم

تمهيد

الأمومة سلوك؛ ووراء كل سلوك دافع، والدوافع حالات تكمن في الفرد وتجعله ينزع إلى السلوك في اتجاه معين؛ فالدافع الذي يدفع الأمَ لحماية أولادها هي غريزة الأمومة؛ والغريزة موجودة عند كل أفراد النوع؛ فإذا افتقد وجودها عند فرد من النوع اعتبر ذلك الوضع شاذاً¹.

وإنَّ أعظم مهمة ألقاها الإسلام على عاتق الأمَّ هي تربية الأولاد ورعاية مصالح الزوج؛ وذلك لتُنشئ جيلاً قوياً في إيمانه، مؤمناً بالله تعالى، وهذا ما نجده عند الخنساء رضي الله عنها فهي التي أعدت أبناءها للجهاد في سبيل الله عزَّ وجل، ولا ننسى أيضاً أم أنس بن مالك رضي الله عنهما، فهي التي جعلت ابنها في خدمة النبي صلى الله عليه وسلم².

إن الأسرة هي اللبنة الأساسية والأولى في بناء أي مجتمع، وإن قوام وصلاح هذه اللبنة يرتكز على أسس وأعمدة تقوم عليها، وأول هذه الأسس صلاح وانسجام الوالدين، إذ إن الهدف الأول والأسمى لهما تكوين أسرة وإنشاء بيت يقوم على السكينة والرحمة المتحققة بتوافقهما وقيامهما بمسؤوليتهما المشتركة لينصلح ويؤتي ثماره الطيبة.

وللأسرة في الإسلام أهمية بالغة في تربية الأجيال تربية إسلامية صالحة قائمة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهي رباط يحقق الاستقرار والسكينة لأفراد هذا المجتمع الذي تضلع فيه الأمَّ بالدور الأبرز في تربية الأولاد، إذ إن دورها الأساسي هو تربية الأبناء قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا

¹ ينظر: الرفاعي، نعيم، الصحة النفسية "دراسة في سيكولوجية التكيف"، جامعة دمشق، سورية، 2008م، (ص: 101).

² ينظر: قاسم، ريم عصام محمد، أحكام الأمومة في الفقه الإسلامي "النسب الحمل والرضاعة والحضانة"، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2015م، (ص: 11).

تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتَيْنَ الزَّكَاةَ وَأَطَعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ [الأحزاب، 33]، وهذا دور تشریفی وتکریمی

للمرأة المسلمة.

إن الأم هي مصدر حياة ومرفاً حنان، وهي مصدر إشعاع يُنير لنا الطريق، ومن هنا فقد حرص القرآن الكريم على تزكيتها، وتكريمها والارتفاع بها إلى مستوى شاق نبيل، وللقرآن في حديثه عن الأمومة أسلوب متميز، وفلسفة معينة، وإن الحديث القرآني عن هذه الأمومات يبرز لنا إلى حد بعيد ضخامة العبء الذي تنهض به الأمومة من جهة، وروعة الاحتفاء القرآني بهذه الناهضة بأعبائها من جهة أخرى، وحين تتكامل هذه الصورة بظلالها المرهفة وأضوائها الوهاجة فإنها تُعطي من غير شك انطباعها الصادق في هذا الصدد العظيم، وفي هذا الصدد فقد أورد القرآن الكريم مقومات الأمومة الناجحة، والتي سنذكرها في المباحث التالية:

المبحث الأول: النية الخالصة لوجه الله في تربية الأبناء

معنى النية:

عرّفت النية بأنها: "الإرادة المتوجهة نحو الفعل ابتغاءً لوجه الله وامتنالاً لحُكمه"¹.

وقال ابن عابدين بأنها " قصد الطّاعة والتّقرب إلى الله تعالى في إيجاد الفعل"².

والنية الخالصة لوجه الله شرط أساسي لقبول العمل، وبها يصل المسلم غايته بنيل مرضاة الله والفوز

بأجره العظيم، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا

الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: 5].

النية الخالصة لوجه الله في تربية الأبناء:

وحسن النية أساس كل عمل، فالصلاة والعمل والشرائع والحياة والممات والولاء والبراء كلها لله وحده، قال

تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162]، فالآية دالة على

وجوب تسخير الإنسان نفسه ويسلم وجهه لله سبحانه مقتدياً برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عليه

الصلاة والسلام: " إنَّما الأعمالُ بالنيَّاتِ وإنَّما لِكُلِّ امرئٍ ما نوى فمن كانت هجرتهُ إلى اللَّهِ ورسولِهِ فَهجرتهُ

إلى اللَّهِ ورسولِهِ ومن كانت هجرتهُ إلى دنيا يصيبُها أو امرأةٍ يَنكحُها فَهجرتهُ إلى ما هاجرَ إليه"³.

وعليه ترى الباحثة بأنه يجب على الوالدين الإحسان في تربية الأبناء، وأن تكون نيتهم بأن يكون لهم

الثواب من الله عزّ وجل في هذه التربية والرعاية، وأن تكون النية خالصة لوجه الله تعالى.

¹ أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، (ص: 902).

² ابن عابدين: محمد أمين، حاشية ابن عابدين، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1966م، (1/105).

³ البخاري، صحيح البخاري، (بدء الوحي/كيف كان بدء الوحي)، ح1، (6/1).

وفي القصص القرآني عن أخبار الأمهات ما يبرز صفة إخلاص النية عند الأم، فهي الصابرة على كل عمل تقوم به، وكل جهد تبذله مع أولادها؛ من تربية وتعليم ورعاية، لأن الأمهات اللواتي ذكرت قصصهن في القرآن يعلمن أن بالإخلاص كسب مرضاة الله وعظيم أجره، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن وابتغى وجهه، فكل ذرة تعب وجهه مسجلة عند أرحم الراحمين، وكله ستجزي عليه فإن كان خيراً فخير، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ﴾ [الزلزلة: 7]؛ فعلى الأم المؤمنة تجديد النية كل يوم بل كل ساعة، فالاعتناء بالأبناء من أكثر الأشياء مثوبة عند الله، فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أزعه على زوج في ذات يده)¹.

وحسب النية تكون الثمرة، فمثلاً امرأة عمران كانت تسكن في بيئة تعتر وتتفاخر بالأولاد، فهم يكون ليجدوا أبناءهم سندا وقرّة عين لهم، فلم يغرها ذلك ولم تلتفت للدنيا، بل وضعت الآخرة نصب عينها، فنوت ونذرت أن تجعل ما في بطنها محرراً من شوائب الشرك، غير مرتبط بالأمور الدنيوية، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: 35].²

وهذا كان نداء ودعاء امرأة عمران ربها، وقد تحققت الاستجابة وحصل القبول للدعاء من الله رب العالمين فقال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: 37]، وكانت نيتها أن تنذر ما في بطنها من اللحظة الأولى من ولادتها لله رب العالمين، وعندما وضعت قالت إنها وضعت أنثى معتذرة في كون المولود أنثى، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ [آل عمران: 36]، وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾، من كلام أم

¹ البخاري، صحيح البخاري، (كتاب النكاح/باب إلى من ينكح وأي النساء خير)، رقم الحديث (5082)، (6/7).

² ينظر: الشعراوي، محمد متولي، (ت: 1418هـ)، تفسير الشعراوي، 1997م، (3/1433).

مريم، ومرادها من هذا تعظيم الذكر على الأنثى؛ وذلك لأن الذكر أقدّر على خدمة بيت المقدس ومجاوريه، بخلاف الأنثى التي قد تنقطع عن خدمة المسجد ورواده لمانع الحيض وسائر العوارض التي تنتاب الأنثى، ويحمل قولها على التحسر على الحرمان¹.

وقد يكون هذا من قول الله تعالى، أي إنّ الحق جل جلاله يقول لها: لا تظني أنّ الذكر الذي تمنيتَه سيصل إلى علو ومكانة الأنثى التي وضعتها فهي لها شأن عظيم².

فامرأة عمران تعدّ النموذج الأتم والأكمل في إخلاص الأمّ؛ ولما علم الله سبحانه ما في قلبها من إخلاص النية، قبل الله نذرها واستجاب دعاءها، وكافأها بأن تولى ابنتها بالرعاية فأنبثها نباتاً حسناً، ويسر الله لها زكريا عليه السلام كافلاً³. قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي إنّ كفالة زكريا عليه السلام لها أمر من الله فاسكنها في مكان عبادته⁴.

وفي هذه القصة العظيمة ما أوح نساء هذا الزمن إلى معرفتها، والعمل بها، ونذكر منها ما يلي:

حرص النساء الصّالحات على ما ينفعهن في الدنيا والآخرة، فهذه امرأة عمران نذرت مولودها لخدمة بيت المقدس، وذلك من أعظم الأعمال وأشرفها عندهم، وقال العلامة جمال الدين القاسمي: وهكذا الواجب على كل امرئ إذا طلب ولداً أن يطلب للوجه الذي طلبت امرأة عمران وزكريا، حيث قال: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: 38]، وما سأل إبراهيم:

¹ ينظر: الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت: 743 هـ)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 2013م، (90/4).

² ينظر: الشعراوي، محمد متولي، (ت: 1418هـ)، تفسير الشعراوي، 1997م، (3/1433-1436).

³ ينظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط2، 2009م، (54/1).

⁴ ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، (3/1440).

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: 100]، وكقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74]¹.

وفي قولها: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ دعاءً وتوسُّلاً إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]، وهكذا يجب تجريد التوحيد، ونبذ الشرك والتنديد، فلا يدعون إلا لله وحده لا شريك له، في حالة السعة والرخاء، وفي حال الشدة والبأساء، وإن ما أضحت عليه بعض نساء اليوم من دعاء غير الله عز وجل، والذهاب إلى القبور ودعاء الموتى، والنذر والذبح لهم حتى يرزقن الأولاد، فهذا هو الشرك عينه، والجاهلية نفسها، فهذه امرأة عمران تدعو الله عز وجل وحده، وتتوسل إليه بأسماء وصفاته، ولم تذهب إلى قبور الصالحين والأنبياء متوسلة بهم إلى رب العالمين، وهذا نبئ الله زكريا عليه السلام دعا ربه وحده، فرزقه الله ولداً على كبر سنه، قال تعالى: ﴿ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿١٠١﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ وَنِدَاءً خَفِيًّا ﴿١٠٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿١٠٣﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿١٠٤﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالِي يَعْقُبُ وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿١٠٥﴾﴾ [مريم: 1-6]².

وفي قولها في الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ﴾ [آل عمران: 36] إنما أكَّدت الكلام بـ (إن)؛ لأنه كان على خلاف ما كانت ترجوه، إذ كانت ترجو أن يكون ذكراً، فإذا هو أنثى، وفي خطابها تعجب لولادتها أنثى، وهذا تحسُّراً على ما فاتها من تحقيق نذرها وهو جعل مولودها محرراً لخدمة

¹ ينظر: القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ، (57/2).

² ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (ت: 1393هـ) التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، ط1، 1984م، (232/2).

بيت المقدس، وليس منها كراهية للأنثى، وقولها: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران: 36] هذا لأن الذكر قادرٌ على خدمة البيت، والأنثى لا تقوى على ذلك¹.

وبالنية الصادقة تحوّل الأم كل ما تفعله من عمل إلى نهر حسنات جارٍ بعد موتها، وللأم نصيب وافٍ في ذلك؛ وتلزم النية الأمهات اللواتي ما زلن في طور الصبا وما زال لديهنّ القوّة والمقدرة على العطاء، برغم ثقل الأمانة في حمل أعباء الأسرة وتكاليفها، فلا بد من النية في تعليم الأبناء، وتربيتهم، وأن تنوي الأم مرضاة الله تعالى في تربيتهم، فكم من عمل يتصور بصورة أعمال الدنيا ويصير إليه بحسن النية من أعمال الآخرة، وكم من عمل يتصور بصورة أعمال الآخرة ثم يصير من أعمال الدنيا بسوء النية².

وعليه فإذا كانت النية الصادقة كان على الزوجين أن يخلصا الدعاء لله عزّ وجل أن يرزقهما الذرية الصالحة، فالدعاء بطلب الذرية الصالحة من سنن المرسلين، قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: 100]، ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: 40]، وعلى لسان زكريا عليه السلام: ﴿هَذَا لَكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: 38]، ويقول تعالى في صفات عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74].

وكلما كان العمل خالصاً لوجه لله، بعيداً عن حظوظ النفس ومشتهاياتها، كان صاحبه للتوفيق أقرب وللقبول أحرى، فعلى قدر إخلاص المرء في أداء رسالته ومهمته، يكون التأثر والتأسي به أقوى في نفوس

¹ ينظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، قصص الأنبياء، تحقيق وتعليق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، بيروت: دار ابن حزم للنشر والتوزيع، 2002م، (ص: 183).

² الزرنوجي، الإمام برهان الدين، (ت: 593هـ) تعليم المتعلم طريق التعليم، القاهرة: مكتبة القرآن للطبع والتوزيع، ط1، (37-38).

الناشئة، والاستجابة له أبلغ وأسرع، فعندما تنوي الأُمّ النية الصادقة وتخلص وتتوكل على الله حق الاتكال، سترى ثمرات ذلك، وأنّ الله سيعينها في تربية أبنائها تربية سليمة، ويهون عليها مشاق التربية، وحينها ستلذذ بمشاقها وتعبها عندما تجد أن رب العباد يبسر ويسهل لها أمرها، على عكس من لا تتوكل ولا تخلص النية في أعمالها.

المبحث الثاني: الصبر وقوة التحمل على تربية الأبناء

معنى الصبر:

"الصبر هو حبس النفس عن الجزع والتسخط، ومنع اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش، كشقّ الجيوب ولطم الخدود ونحوهما"¹، أما حقيقته "فهو خلق فاضل من أخلاق النفس، يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها"²، "والصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا جزع"³.

وقال المناوي: الصبر قوة مقاومة الأهوال والآلام الحسيّة والعقليّة⁴.

أنواع الصبر:

يقسم الصبر إلى عدة أقسام، وهي كالتالي⁵:

أولاً: الصبر على طاعة الله: إن الطريق إلى الله تعالى مليئة بالعوائق والعقبات؛ لأن النفس بطبيعتها تنفر من القيود، والعبودية لله قيد لشهوات النفس؛ لذلك فالنفس لا تتبع إلى أمر الله ببسر وسهولة، لذلك يجب ترويضها، وكبح جماحها، وهذا يتطلب الصبر، قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: 65]، والصبر على الطاعة يتكون من ثلاثة فروع: الفرع الأول: الصبر قبل الطاعة في تصحيح النية، والإخلاص، والبراءة من نجاسات النفاق، قال تعالى: ﴿

¹ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ت: 751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1996م، (155/2).

² ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ت: 751هـ)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، السعودية: مكتبة دار التراث، ط3، 1989م، (16/1).

³ البغوي، الحسين بن مسعود الفراء، (ت: 516هـ) تفسير البغوي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ، (480/2).

⁴ المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، (ص: 212).

⁵ ينظر: القحطاني، سعيد بن علي، أنواع الصبر ومجالاته - مفهوم، وأهميته، وطرق، وتحصيل في ضوء الكتاب والسنة، الرياض: مطبعة سفير، ط1، 2011م، (ص: 20)، العثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم "سورة الزمر"، المملكة العربية السعودية: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط1، 1436هـ، (ص: 116).

إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ [هود: 11]، فقدم الله - سبحانه وتعالى- الصبر على العمل، والفرع الثاني: الصبر حال الطاعة حيث لا يتهاون عنها أثناء تأديتها، ولا يتكاسل، فيؤديها على أكمل وجه مشروع، أما الفرع الثالث فهو: الصبر بعد العمل، فلا ينظر لنفسه باستغراب، فيدعي أنه قدّم سمعةً ورياءً؛ لئلا يفسد عمله ويبطل أجره، ويمحو أثره.

ثانياً: **الصبر على المعاصي والحرمان**: يحتاج العبد إلى الصبر على ملذات الدنيا وشهوات الروح، فلا يطلق لها العنان لتسترسل وراء شهواتها من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، وثمة أمر آخر للصبر في هذا المجال إنه الصبر عن التطلع إلى دنيا الآخرين، والاعتزاز بما ينعمون به من مال وبنين.

ثالثاً: **الصبر على المصائب**: لا أحد محصن من آلام الروح، وأمراض الجسد، وفقدان الأحباء، وخسارة المال، وهذا ما لا يخلو منه بئراً ولا فاجر، ولا مؤمن ولا كافر، ولكن المؤمن يتلقى هذه المصائب برضى وطمأنينة تفعم قلبه الذي أسلس قياده لمقلّب القلوب والأبصار؛ لأنه يعلم على وجه اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ [البقرة: 155]، فالبلاء هنا عام، يصيب القلوب بالخوف، والبطون بالجوع، والأموال بالنقص، والأنفس بالموت، والثمرات بالآفات، ومن لطف الله ورحمته بعباده أنه جعل البلاء: (بشئٍ مِّنَ الْخَوْفِ...) ليدل على التقليل مراعاة لضعف العباد، والتخفيف عنهم، ورحمةً بهم، وفي هذا الأمر كان صبر أنبياء الله مثلاً يُحتذى به، فأيوب كان صبوراً بمرضه وفقدان عائلته، وكان يعقوب عليه الصلاة والسلام صبوراً على فراق ولده، ومكائد أبنائه، ويوسف عليه الصلاة والسلام صبر على السجن والافتراء الذي مارسته امرأة العزيز قبل أن يحصص الحق، ومحمد -صلى الله عليه وسلم- صبر على كسر رباعيته، وشجّ وجهه، ووضع السلال على ظهره -صلى الله عليه وسلم-.

مراتب الصابرين:

هنالك أربعة مراتب للصبر: المرتبة الأولى: مرتبة الكمال: وهي مرتبة أولي العزائم، وهي صبرٌ لله وبالله، فصبره يكون فيه ابتغاءً لوجه الله، فهي أعلى مرتبة وأرفعها وأفضلها، المرتبة الثانية: أن لا يكون فيه لا هذا ولا هذا، فهو آخر المراتب وأسوء الخلق، وهو مستحق بكل خيبات الأمل وبكل الحرمان، المرتبة الثالثة: مرتبة من فيه صبر بالله، وهو مستعين متوكل على حوله وقوته، متبرئ من حوله هو وقوته، ولكن صبره ليس لله؛ إذ ليس صبره فيما هو مراد الله الديني منه، فإن هذا الشخص ينال ما يريد ويكسبه، ولكن لا عاقبة له، وربما كانت عاقبته أسوء العواقب، وفي هذا المقام خفراء الكفار وأرباب الأحوال الشيطانية، فإن صبرهم بالله لا لله ولا في الله، أما المرتبة الرابعة: من فيه صبر لله، لكنه ضعيف النصيب من الصبر به، والتوكل عليه، والثقة به، والاعتماد عليه، فهذا له عاقبة حميدة، ولكنه ضعيف عاجز مخذول في كثير من مطالبه؛ لضعف نصيبه من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] فنصيبه من الله أقوى من نصيبه بالله، فهذا حال المؤمن الضعيف¹.

الصبر وقوة التحمل على تربية الأبناء:

ولعظم مسؤولية الأمّ وجب أن تتحلى بالصبر؛ كسبب أساس لنيل أجر الجهد الذي تبذله في سبيل أبنائها وتربيتهم، فالصبر بكل معانيه يتجلى واضحاً في قصص القرآن عن الأمّ؛ فهذه مريم ابنة عمران عليها السلام، تعاني الأمرين وتتمنى الموت، من شدة ما وقع في نفسها وامتد إلى جسدها، لكنها تصبر على آلامها وتضبط مشاعرها، قال تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبَلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّوَدِيًّا﴾ [مريم: 23]، والصبر يبدأ من لحظات الحمل الأولى والتغيرات التي تصحبها في جسدها؛ والصبر أيضاً على التغيرات أثناء الحمل وما يصاحبها من ضعف وجهد ومشقة وتعب وإرهاق.

¹ ينظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 2003، (450/1)، ينظر: المنجد، محمد صالح، الصبر، المملكة العربية السعودية: دار مجموعة زاد للنشر والتوزيع، ط1، 2009م، ص9.

وتتجلى مشاهد الصبر حين تستعرض الآيات القرآنية قصة أم موسى -عليه السلام-، إذ تعتبر نموذجاً لصبر الأم المؤمنة الواثقة، فقد صور القرآن الكريم خوف أم موسى الشديد على ولدها، ومشاعر الحزن الذي قد تبثلي به الأم في حال فقد ولدها، فالحزن له تأثير في مرض النفس البشرية، ويمتد للجسد فيؤثر على الجوارح الظاهرة والباطنة؛ وقد ينتج عنه من سلوك انفعالي، وخير ما يجلي هذا الحال عند الأم قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:7]، فإن الله -عز وجل- لم يمه أم موسى عن الحزن على ما كان فحسب، بل نهاها أيضاً عن الخوف من توقع أمر مكروه، فالحزن على الماضي، والخوف من المستقبل، والندم على ما فات، لا يليق ولا يصلح للأم المريبة، ومما يعين الأم على ضبط انفعالاتها التحلي بالصبر، وحسن الظن بالله عز وجل، واستشعار مسؤوليتها التربوية باعتبارها قدوة لأبنائها¹.

فصبرت وألقت به بيديها في اليم رغم أن قلب الأم لا يسمح بذلك، ولكن دفعها لهذا الفعل خوفها عليه، فكانت نتيجة الصبر بعد أن أصبح فؤادها فارغاً من كل شيء إلا من ذكر ولدها، أن ربط الله على قلبها، قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: 10].

وزوجة فرعون التي ضربت مثلاً وعبرة للمؤمنين، إذ كانت امرأة مؤمنة سالحة تحت زوج طاغية كافر، فلم يضرها كفر زوجها، وصبرت على إيذائه وعذابه حينما طلب منها الرجوع عن إيمانها، وتمسكت بوحداية الله²، فقال الله عز وجل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَاتٍ فَرِعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي

¹ ينظر: القحطاني، نورة مسفر عبد الله، مقومات الأم المريبة في ضوء القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية المعاصرة، مجلة شباب الباحثين في العلم التربوية: جامعة سوهاج، العدد 7، 2021م، (934).

² ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، (471/3-472).

عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ [التحریم: 11]، وكذلك

صبرت على عدم الانجاب، فقال الله تعالى في كتابه: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا

تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ [القصص: 9]، عندما التقط فرعون

التابوت الذي وضعت أم موسى ولدها فيه، رأت زوجته طفلاً يتلألاً وجهه بالنور والحسن فأحبهه وتمنته

ولداً لها، فهَمَّ فرعون بقتله فطلبت منه أن يبقيه قرّة عين له ولها، فرضي على أن يكون لها فقط فهو ليس

بحاجة له.¹

ويتجلى صبر الأمّ في قصة أصحاب الأخدود، حين ألقى بالمؤمنين في النار، ولما وصل الأمر لامرأة

تحمل رضيعها أحجمت خوفاً عليه، فخاطبها رضيعها "اصبري، فأنتك على الحقّ"² فتصبرت، فألقى بها في

النار³، قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَحْسَبُ الْأَخْدُودِ ﴿٥﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ ﴿٤﴾﴾ [البروج: 4-5].

وتبدأ قصة هاجر عندما ولدت اسماعيل عليه السلام، حيث بدأ الشيطان يوسوس لسارة إثارة حقدّها، وغلّها

على ضررتها وابنها، فلما اشتدت غيرتها قررت سارة الابتعاد عنها⁴. فسار إبراهيم عليه السلام بها في

الصحراء إلى أن وصل مكان بئر زمزم الحالية بمكة، وليس بها يومئذ أحد، لا ماء ولا طعام، ووضع

عندها جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم سار منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل وقالت: أين تذهب يا إبراهيم

وتتركننا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ فلم يلتفت إليها، وأخيراً قالت له: آله الذي أمرك بهذا؟

قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا"، ثم رجعت إلى حيث أنزلها، فانطلق حتى إذا كان عند الثنية حيث لا

يرى، استقبل بوجهه البيت الحرام، ثم دعا ربه قائلاً: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ

¹ ينظر: غلوش، أحمد أحمد، دعوة الرسل عليهم السلام، مؤسسة الرسالة، 2002م، (268).

² مسلم: صحيح مسلم، (كتاب الزهد والرقائق/باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام)، ح(3005)، (4/2299).

³ ينظر: النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، (ت: 710هـ)، تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل، بيروت: دار الكلم الطيب، ط1، 1998م، (623/3).

⁴ ينظر: بلحاجي، فتحة، قصة النبي اسماعيل عليه السلام بين الثابت القرآني والمتحول الشعبي، جامعة أبو بكر بلقايد -تملسان-، 2004م، (ص: 7).

عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ
الشَّمْرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ [إبراهيم: 37]¹.

واستجاب الله دعاء خليته عليه السلام، بعد أن عاشت هاجر وابنها إسماعيل لحظات عصيبة، وكادت
الوحشة وقلة الطعام والشراب أن تؤدي بالمرأة وطفلها، لولا فضل الله ورحمته، فهل يخيب من رجاه؟ وهل
يضيع من تولاه؟ -ومن هذه المواقف الصعبة بدأت قصة بناء البيت، وقصة السعي الصفا والمروة، كلما
حج الناس اعتمروا، وكلما طافوا بالبيت العتيق- ومن هنا أيضا تبدأ قصة زمزم، ذلك الماء العذب الزلال
والبلسم الشافي للأسقام بإذن الله².

وترى الباحثة أنه يجب على الأم الصبر على ما يلي الإنجاب من تربية الأبناء ورعايتهم وتعليمهم في
مختلف مراحل عمرهم، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: 132] والصبر على
علاقات الأم بمن حولها من زوج وأهل ومحيط إذا حالوا دون تمكينها من تربية أبنائها على الوجه الذي
يرضى الله، وما يصاحب الحياة الأسرية والزوجية من مشاكل؛ خاصة إذا ابتليت بزوج لا يعينها على
رعاية الأبناء، وربما كان قدوة سيئة لهم فيجب على الأم أن تضاعف جهدها كي لا تجعل منه أسوة
لأبنائها، كل ذلك من أعظم صور صبر الأمهات المؤمنات الصالحات التي تميزهن عن غيرهن.

المبحث الثالث: تربية الأبناء بالقدوة

معنى القدوة:

¹ ينظر: أحمد، مهدي بن رزق الله، مزاعم وأخطاء وتناقضات وشبهات بودلي في كتابه «الرسول، حياة محمد» دراسة نقدية، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، 2010م، (ص: 69).

² ينظر: العودة، سليمان بن حمد، شعاع من المحراب، المملكة العربية السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع، ط2، 2013م، (95/3).

تعرف القدوة على أنها: السيرة الحسنة، والأعمال الكريمة والصفات السامية، والأخلاق الحميدة للداعي التي تجعله يحظى بإعجاب المدعوين، ومثالهم المحذني¹.

وهي الحالة التي يجد فيها الإنسان نفسه عليه اتباع غيره إن حسناً وإن قبحاً، وإن ساراً وإن ضاراً².

وقال المناوي أن القدوة: "هي الاقتداء بالغير ومتابعته والتأسي به"³.

أنواع القدوة:

تقسم القدوة قسمين، وهي كالتالي⁴:

أولاً القدوة الحسنة: والقدوة الحسنة هي المثال العملي للأخلاق والفضائل المثلى، وهذا المثال العملي قد يكون مثلاً حياً مشاهداً ملموساً يعيش بين الخلق فيتأسى به، وقد يكون مثلاً ماثلاً في النفس البشرية، بسيرته الحميدة وأفعاله السديدة وما أشيع ونقل عنه من محامد وشيم كريمة وسيرة حسنة وصفات صالحة وأخلاق فاضلة، وما نقل عنه من الأنباء والأقوال والأعمال المرضية.

ثانياً القدوة السيئة: والقدوة السيئة هي: الاقتداء بأهل الباطل ومتابعتهم والتأسي بهم في فعل السيئات وترك الحسنات، قال تعالى عنهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23].

القدوة في القرآن الكريم:

¹ ينظر: الشلهوب، عيبر بنت خالد، دعوة العاملات المنزلية إلى الله تعالى، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، 2013م، (ص: 112).

² ينظر: القحطاني، سعيد بن علي، مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - مفهوم، ونظر، وتطبيق، الرياض: مطبعة السفير للنشر، 1994م، (ص: 309).

³ المناوي، عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، (ص: 269).

⁴ ينظر: العز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين بن عبد العزيز، شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، دمشق: دار الطباع للنشر والتوزيع، 1989م، (ص: 344).

القدوة الحسنة هي الركيزة في المجتمع، وهي عامل التحول السريع الفعال، وهي عنصر مهم في كل المجتمع، وتشتد الحاجة إلى القدوة الحسنة كلما بعد الناس عن الالتزام بقيم الإسلام وأخلاقه وأحكامه، كما أن الله عز وجل حذر من مخالفة القول والفعل الذي ينبغي كون الإنسان قدوة حسنة، فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: 2-3]، ودين الإسلام دين القدوة، وأصحاب الهمم العالية هم الذين يسعون ليكونوا قدوة حسنة، وأعظم قدوة في الإسلام هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لذلك جعله الله لنا أسوة وقدوة، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ ءَآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: 21]¹.

وينبغي للمسلمين إن أردوا السعادة في الدنيا والآخرة، أن يتخذوا من أخلاقه وآدابه صلى الله عليه وسلم نبراساً يستضاء به في شتى مناحي الحياة، وفي التعامل مع العدو والصديق، والقريب والبعيد.

وقال تعالى: ﴿التَّيِّبُ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَآئِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾ [الأحزاب: 6]، الله جل جلاله يعلم المؤمنين الأدب مع النبي عليه الصلاة والسلام، وأنه أولى بهم من أنفسهم وبأن تطاع أوامر النبي صلى الله عليه وسلم وتجتنب نواهيه، وتقدم رغباته على رغبات الإنسان نفسه، فالنبي عليه الصلاة والسلام عزيز عليه عنت قومه، حريص على إيمانهم، رءوف رحيم بهم أكثر من أنفسهم لأنفسهم، ونبينا خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام هو أولى الناس بالمؤمنين،

¹ ينظر: رضوان، أحلام حسن عبد الله، التربية بالقدوة، المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية، مج (6)، ع(3)، 2019م، (ص: 11).

أولى الأنبياء بالطاعة والولاء والإخلاص، وهكذا جعل الله جل جلاله نبينا محل القدوة والأسوة، ومحل التحريم والتحليل، وينبغي أن يقدم على نفس الإنسان ورغباته وخواطر نفسه¹.

لقد ذكرت هذه الآية في سياق آيات تتحدث عن اتخاذ النبي عليه السلام أسوة وقدوة، ولا شك أن الأسوة موضع احترام وتقدير وتوقير وكذا أزواجه، وقد جعلهنّ الله بمقام الأمهات لما تستحقه الأمّ من الإكرام والاحترام.

فإنّ الأمّ قدوة حسنة لأبنائها، وهي المعلم الأول لهم، فمنها ينهلون أخلاقهم ويتعلمون سلوكهم، لذا يستوجب عليها أن تكون كفوّاً لهذا المقام، على قدر عالٍ من المسؤولية الجليلة الواقعة على عاتقها، وشتان بين أم تربي أبنائها على حبّ الله ورسوله بأفعالها الجميلة المترجمة لأقوالها وليس بأقوالها الفقيرة إلى أعمالها، وبين أم تربي أبنائها على المنكرات وفعل المحرمات والأقوال الكاذبة، فالأبناء كالوعاء الفارغ الذي يمتلئ بما يُسكب فيه، إن كان خيراً كانوا قدوات خير، وإن كان شراً كانوا قدوات شرّ.

والقدوة الحسنة ضرورة من ضروريات التربية، فكيف تحرص البنت على صلاتها ووالدتها ساهية عنها ومقصرة بها! وكيف ستقلع عن سماع الأغاني والمجون وهي ترى أمها ملازمة لسماعها! فصلاح الوالدين حفظ للأولاد في الحياة وبعد الممات، ودليل ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: 82] فعم صلاح الأب الأبناء بعد موته، وليكن للأب أجر غرس الإسلام وتعاليمه في نفس أبنائها²، فقد قال عليه الصلاة والسلام: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا ، وَلَا يُنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ)³.

¹ ينظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، بيروت: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 1994م، (459/3).

² ينظر: القاسم، عبد الملك بن محمد، لمحات في تربية البنات، دار القاسم، (13/1).

³ مسلم، صحيح مسلم، (كتاب العلم/باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة)، ح(1017)، (2059/4)،

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ ۗ كُلُّ أُمَّرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ [الطور: 21]، والذين آمنوا واستحقوا الدرجات العلا، واتبعتهم ذريتهم بإيمان ولم يبلغوا درجات الآباء، ألحق الله بهم ذريتهم في الدرجة، وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلاً عليهم وعلى آبائهم، ليكمل نعيمهم ويتم سرورهم ، وما نقص الآباء بهذا الإلحاق من ثواب عملهم شيئاً بأن أعطي الأبناء بعض مثوباتهم، وإنما رفعت منزلة الأبناء إلى منزلة الآباء بمحض التفضل والإحسان، ولما أخبر - سبحانه- عن مقام الفضل وهو رفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل منهم يقتضي ذلك أخبر عن مقام العدل، وهو أنه لا يحمل الآباء شيئاً من أخطاء ذريتهم فلا يؤخذ أحد بذنب أحد؛ لأن كل إنسان مرهون بعمله لا يؤخذ به غيره، قال تعالى: ﴿كُلُّ أُمَّرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾¹.

وأول ما يجب على الأمّ تقديمه لأبنائها هو القدوة الحسنة من خلال أفعالها اليومية، وأن تتمثل ذلك في كل صغيرة وكبيرة من حياتها أمامهم. "فقد ذم الله تعالى الذين لا يتفق قولهم وعملهم فقال تعالى: ﴿تَأْتُرُونَ النَّاسَ بِالْبُرِّ وَتَسْؤُونَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44]، وقال جل وعلا: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2]، والنفوس مجبولة على عدم الاستقامة ممن لا يوافق قوله عمله"².

وتكون الأمّ قدوة صالحة فيما تدعو إليه، لا أن تدعو إلى شيء وتتركه، أو أن تنهى عن شيء وتفعله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا لِّمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33]، فلا أحد أحسن قولاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لكونه دعا إلى الله، وأرشد إليه، وعمل بما

¹ ينظر: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط1، 1993م، (9/1122).

² المصلح، حامد بن محمد، القدوة الحسنة، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العدد10، 1990م، (39)

يدعو إليه، فدعا إلى الحق وعمل به، وأنكر الباطل وحذر منه، وتركه، ومع ذلك صرح بما هو عليه، لم يخجل بل قال: إنني من المسلمين، مغتبطاً وفرحاً بما من الله به عليه، وليس كمن يستكف عن ذلك ويكره أن ينطق بأنه مسلم، أو بأنه يدعو إلى الإسلام، لمراعاة فلان أو مجاملة فلان¹.

ومن المؤسف حقاً أن كثيراً من الأمهات تغضب غضباً شديداً على تدني مستوى تحصيل أبنائها العلمي، ولا تغضب من تدني التزامهم الديني وتوثيق علاقتهم بالله، ولا تبالي بتذكيره بمواعيد حلقات التحفيظ في المسجد على سبيل المثال، أو الالتحاق بركب المصلين الذين هم على صلاتهم يحافظون، فلا تكثرث لصلاة ابنها أو أخلاقه، بل يكون جل تركيزها على تحصيله العلمي، وكم سيجني علامات في الدنيا، وتتسى درجات الآخرة التي هي المقر، والأمّ المثالية هي التي تعمل على بناء أبنائها لا البناء لهم.

قال عاطف السيد: "تعد القدوة الحسنة أفضل أساليب التربية وأقربها إلى النجاح، فالإنسان في طفولته يميل إلى التقليد والمحاكاة، فإذا كان المحاكي قدوة تأصلت في النشء خلال الطيبة والخصال الكريمة والقيم الرفيعة، وعندما يشب الفرد عن الطوق ويخطو خطى الشباب تترسخ هذه القيم في نفسه ويعي ما أخذه عن القدوة."²

المبحث الرابع: عدم الإضرار بالأبناء

إن آيات الله جل وعلا وتوجيهات نبيه صلى الله عليه وسلم تضيء الطريق أمام الأمّ -الراعية الأولى- في عنايتها بأبنائها، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: 11]، ومن المعلوم أنّ الوصية لا تكون إلا لأمر بالغ الأهمية؛ وأية أهمية أعظم من أن تقف الأمّ على مسؤوليتها برعاية أبنائها وعدم الإضرار بهم؟!، وقد حذر المولى سبحانه من الإضرار بالأبناء والأهل، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

¹ ينظر: بن باز، عبد العزيز بن عبد الله، (1420هـ)، الدعوة إلى الله وأخلاق الدعوة، الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط4، 2002م، (ص: 22).

² السيد، عاطف. التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها. ط1. (53/1).

ءَامَنُوا قَوْأ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحریم: 6].

فعلى الأمّ عدم الإضرار بأبنائها، وهذا واجب عليها لقوله تعالى: ﴿لَا تَضَارَّ وَالِدَةً وَبَوْلِدَهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ﴾ [البقرة، 233]، ومعنى ذلك أنه إذا افترق الوالدان وحصل التعاند والتباغض بينهما المتضمن إيذاء الولد لإلحاق الضرر بالزوج، وربما رغبت بالزواج من آخر لمكايده، فيهمل ولا يكثرث لأمر الطفل، فهذا نذب الله تعالى على الوالدات المطلقات الاهتمام بالأطفال ورعايتهم.¹ وقد أمر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة عدم إضرار أحد الوالدين بالآخر، وإعطاء كل ذي حق حقه بالمعروف، فلا تمتنع الأمّ عن إرضاع ولدها تعجيزاً للوالد ليلتمس الظئر، أو لتكلفه من النفقة فوق سعته، أو تهمل في تربية الولد البدنية والخلقية والعقلية لتغيظ الرجل، وأيضاً لا يلبق به أن يمنعها من إرضاع ولدها، وهي به أرفأ وله أرام وعليه أعطف وأحنى، أو أن يضيق عليها في النفقة الإرضاع، أو أن يمنعها من رؤيته بعد انتهاء مدة الرضاع²، "فلا يكون الولد وهو نعمة من نعم الله على الوالدين، سبباً في شقاء أحدهما وتعاسته".³ وتعدُّ وصايا لقمان الواردة في سورة لقمان منهجاً متكاملأ لتربية الأبناء، وهي وصايا نابغة من القلب، أساسها الصدق، والقناعة، والتجربة، والمعرفة، حيث جمع لقمان في هذه الموعظة أصول الشريعة وهي: الاعتقادات، والأعمال، وأدب المعاملة، وأدب النفس⁴.

وها هو لقمان الحكيم يضع قاعدة التربية الإيمانية الأولى التي تضمن صلاح حال الأبناء، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ، يَبْنِي لَأ تَشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ

¹ ينظر: النيسابوري، الحسن بن محمد، (ت: 850هـ)، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ، (639/1).

² ينظر: المراغي، تفسير المراغي، (2/187).

³ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (1/278).

⁴ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (21/154).

عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ [لقمان:13]، إن من أكبر واجبات الأم أن تربي أبنائها على الإيمان والتوحيد، وتوصيهم بما يصلح حالهم، بل وتأمّرهم به، وتتجنب كل ما قد يضرهم في دينهم أو دنياهم، لأنهم في مسؤوليتها وربها سائلها عما استرعاها. فلوالدين الدور الفاصل في التزام الأبناء، ففي حديث أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ....."، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: 30]¹.

فقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث أن كل مولود يولد على الفطرة " أي على الإسلام"² والأب والأم هما اللذان يغيران هذه الفطرة التي كان العهد عليها منذ آدم عليه السلام وذريته في صلبه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف:172]، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وكم ممن اشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله وترك تأديبه، وإعانتة على شهواته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلّمه ففاته انتقاعه بولده، وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء"³.

وعدم الإضرار بالأبناء يبدأ من الولادة، فيجب على الأم والأب الاختيار الحسن لاسم المولود، واختيار الاسم الذي لا محذور فيه شرعاً⁴.

¹ البخاري، صحيح البخاري. كتاب الجنائز: باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام. ح (1358) (94/2).

² أمالي الدينوري، محمد أنور شاه، (ت: 1353هـ)، فيض الباري على صحيح البخاري، المحقق: (محمد بدر عالم الميرتهي)، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، (1426هـ)، (66/3).

³ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تحفة المودود بأحكام المولود، ت: 751هـ، دمشق: مكتبة دار البيان، ط1، 1971م، (242/1).

⁴ ينظر: القحطاني، سعيد بن علي، تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، د.د، ط1، 2011م، (ص: 73).

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: قال بعض أهل العلم: "إنَّ الله سبحانه وتعالى يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده"¹، فلا تنتظر الأمَّ إلى مسؤولية أبنائها تجاهها، وتهمل مسؤوليتها عنهم، فكما أنهم مجبرون ومحاسبون على برها وعدم إلحاق الضرر والأذى بها، فهي أيضاً محاسبة على رعايتها لأبنائها والعدل والإنصاف بينهم، وتعليمهم على الخير وإبعادهم عن كل ما يضر بهم، فهذا أقل ما يمكن أن تقدمه الأمَّ لفلذة كبدها.

أما إهمال الأولاد وعدم القيام بواجبهم ومتطلبات صحتهم وصلاحهم واستقامتهم فضرره كبير للغاية، وخطره عظيم، فماذا لو كانت لأم تملك بستانا ترعاه وتنميه حتى تصبح أشجاره باسقة، وثماره يانعة ناضجة، وبعدها تهمله ولا تحفظه من الآفات؟ أليس هذا جهل وحمق؟ فكيف تهمل الأمُّ أبناءها الذين هم فلذة كبدها، وثمره فؤادها، ونسخة من روحها، القائمون مقامها في حياتها ومماتها، الذين بسعادتهم تكتمل سعادتها، وبفلاحهم ونجاحهم تستشعر نجاحها وفلاحها² قال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو

الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ [البقرة، 269].

المبحث الخامس: الدعاء للأبناء

تعريف الدعاء:

تعددت تعريفات العلماء للدعاء في الاصطلاح، فعرفه أبو البقاء بأنه: "الرغبة إلى الله والعبادة"³.

أما الخطابي فعرف الدعاء في كتابه (شأن الدعاء) أنه: استدعاء العبد ربه العناية، واستمداده إياه

¹ ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، (ص: 229).

² ينظر: آل سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت: 1376هـ)، بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط1، 2002م، (155)

³ أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ط2، 1998م، (447/8).

بالمعونة، وحقيقته: إظهار الافتقار إلى الله تعالى، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل، وإضافة الجود والكرم إليه¹. ولذلك قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ"².

أما الحلبي فقد عبّر عن معنى الدعاء بأنه: "قول القائل يا الله يا رحمن يا رحيم، وما أشبه ذلك"³.

أهمية الدعاء في القرآن الكريم والسنة النبوية:

جاءت النصوص في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تُبين فضل الدعاء وتنوّه بمكانته، وقد تنوعت دلالات هذه النصوص المبيّنة لفضل الدعاء، وذلك على النحو الآتي:

مكانة الدعاء وفضله في القرآن الكريم: الدعاء من أجلّ العبادات، وأعظم الطاعات، نجد له منزلة عظيمة، ومكانة عالية، رفيعة الشأن، فالناظر في كتاب الله عز وجل يدرك اهتمام الحق بهذه العبادة، فقد افتتح القرآن بالدعاء والثناء في فاتحة الكتاب، فإنّ فيه حقيقة الافتقار إلى الله، ودوام الحاجة إليه، مع أن الله تعالى غني عن دعوات العباد، فيقول تعالى: ﴿بِأَيِّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر:15]، ومع ذلك فإن الله تعالى يحب سماع صوت الداعين، ويفرح بتوبتهم؛ لأن في الدعاء تأسياً للعلاقة بين العبد وخالقه، وهذه العلاقة قائمة بين العبد وخالقه، وهذه العلاقة القائمة على حسن الظن بالخالق، فإن الدعاء أهم مقامات العبودية⁴.

¹ ينظر: الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد، شأن الدعاء، دار الثقافة العربية، ط1، 1984م، (4/1).

² الترمذي، محمد بن عيسى الضحاك، (ت: 279)، سنن الترمذي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998م، باب ما جاء في فضل الدعاء، ح(3327)، (316/5). قال الترمذي "حديث حسن صحيح".

³ الحلبي، أبو عبد الله الحسين بن الحسن، المنهاج في شعب الإيمان، تحقيق: حلمي محمد فودة، بيروت: دار الفكر - بيروت، ط1، 1979م، (522/1).

⁴ ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، (ت: 606هـ) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، بيروت: دار الكتب العلمية، مج (16)، ط1، 2000م، (84/5).

وإنه من مقتضى العبودية الخالصة أن يُحسن العبد ظنه بالخالق العظيم، وأنه يجيب دعاءه إذا دعاه، لذلك أرشد الله سبحانه أنه قريب من عباده، وأمرهم بالتوجه إليه دونما وساطة، فقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186].¹

مكانة الدعاء في السنة النبوية: أكد نبينا صلى الله عليه وسلم على أن الدعاء عبادة، فقد سماه في القرآن عبادة، مما دعى النبي صلى الله عليه وسلم أن يحصر العبادة في الدعاء، كما جاء في حديث النهمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر: 60].²

في الحديث السابق حصر الدعاء في العبادة، وذلك من خلال ضمير الفصل "هو"، والخبر المعروف باللام "العبادة" وهذا يدل على أن الدعاء معظم العبادة، أو أنه العبادة، سواء أُنسب أم لم يُنسب؛ لأن في الدعاء إظهاراً للعجز والاحتياج في النفس والاعتراف بأن الله تعالى قادر على إجابته كريم، ولا احتياج له إلى شيء، حتى يمنع عن عبادة شيء، وهذه الأشياء كلها هي العبادة.³

الدعاء للأبناء:

والمعلوم أن حفظ النسل من مقاصد الشريعة الإسلامية السمحة، مما يعني حرص الإسلام على أهمية تماسك الأسرة وأفرادها فيما بينهم، وأسس لهذه العلاقة نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم بقوله: "لَيْسَ مِنَّا

¹ ينظر: الرافي، قاسم الشماعي، المختار في المواعظ والأحكام والأخبار، بيروت: المكتبة الإسلامية، ط1، 1986م، (481/1).
² الترمذي، سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن: باب: ومن سورة المؤمن، ح(3247)، (277/5). قال المحقق بشار عواد معروف: حديث حسن صحيح.

³ ينظر: العظيم آبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق، عون المعبود بشرح سنن أي داود، بيروت: دار الكتب العلمية للنشر، ط2، 1995م، (247/4).

مَنْ لَمْ يُوقِرْ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا¹، والأم هي منبع الحنان والعاطفة، ومن أوسع أبواب العاطفة أن تبقى الأم على الدعاء لولدها حتى بعد أن يكبر ويصبح قادراً على كسب قوته وحماية نفسه، تدعو له فيما يصلح حاله ويسعده في دنياه وآخرته.

ولا شك أن للدعاء أهمية عظيمة في تربية الأبناء تربية إسلامية، فلا صلاح ولا فلاح إلا بهداية الله عز وجل، فحري بالأم الصالحة أن تكثر من دعاء الله عز وجل لأبنائها بالصلاح والهداية والاستقامة والثبات على دين الله، كما فعلت امرأة عمران عليها السلام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۗ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنِكَ وَذَرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ [آل عمران: 36] وقد أورد الطبري في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنِكَ وَذَرِّيَّتَهَا﴾ أي وإني أجعل معاذها ومعاذ ذريتها من الشيطان الرجيم بك، وأصل المعاذ: الملجأ والموئل والمعقل. فاستجاب الله لها دعاءها، وأعادها من الشيطان الرجيم وذريتها فلم يجعل للشيطان عليها سبيلاً².

والعوذ هو: الالتجاء والتعلق بالغير، فمعنى أعوذ بالله من الشيطان، أي أعتصم به وألجأ إليه منه، وأعاده به منه جعله معاذاً له يمنع ويحصمه منه، والإعادة بالله تكون بالرجاء والدعاء، والرجيم هو المطرود عن الخير³.

وكانت ثمرة دعاء امرأة عمران عليها السلام أن استجاب الله دعاءها وحفظ أبنائها وذريتها من الشيطان ومسه ورجسه⁴، ومدح الله سبحانه وتعالى - ثمرة امرأة عمران - مريم فقال: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل

¹ ينظر: أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ح(6935)، (403/6). قال المحقق أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

² ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (336/6).

³ ينظر: رضا، محمد رشيد بن علي، (1354هـ)، تفسير المنار، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1990م، (238).

⁴ ينظر: القحطاني، مقومات الأم المربية في ضوء القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية المعاصرة، (15).

عمران: [37] فهذا مدح وثناء للتربية الباكورة الحسنة، فالدعاء سلاح مهم بل من أقوى الأسلحة في قضية التربية وخاصة الدعاء المذكور في القرآن.¹

وذكر القرآن الكريم أنَّ المؤمنين هم الذين يلزمون الدعاء، ويستعينون بالله بأن يرزقهم الذرية الطيبة: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74]، (من) المذكورة في الآية للتبعيض، ومعنى ذلك أنَّ من الأزواج والأولاد عدواً، فليس كل زوج وولد عدو، فهذا دعاء عباد الرحمن ربهم ليهبهم أزواجاً وأولاداً ليكونوا قرة أعين لهم.²

فقد حثَّ النبي على الدعاء للأبناء بصلاحهم ونجاحهم وفلاحهم، فإنه ينفعهم بعد مماتهم، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا صدقةً جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له"³، وتصلح الأم ذريتها بغرس محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، بتشويقهم للذهاب إلى المسجد صغاراً، وملئ أوقات فراغهم بما هو مفيد.⁴

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: 21]، وبفضل دعاء الأبوين والأم تحديداً يسعد الابن وتسعد هي بلقائه في الآخرة حين الاجتماع في جنات الخلد، كما بشرهم ربهم بأن يكرمهم بذلك ويزيدهم من فضله، ومن زيادة الفضل والإحسان والنعم: أن يلحق الله سبحانه الذرية المؤمنة كباراً وصغاراً بالوالدين المؤمنين،

¹ ينظر: المقدم، محمد أحمد، محو الأمية التربوية، دروس صوتية قام بتقريغ بعضها موقع الشبكة الإسلامية، (14/7).

² ينظر: المنبجي شمس الدين، محمد بن محمد بن محمد، (ت: 785هـ)، تسلية أهل المصائب، لبنان: دار الكتب العلمية، ط2، 2005م، (164/1).

³ مسلم، صحيح مسلم، (كتاب الوصية/باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته)، رقم الحديث: (1631)، (1255/3).

⁴ ينظر: صقر، شحاتة محمد، دليل الواعظ إلى أدلة المواظ، الإسكندرية: دار الفتح الإسلامي، (573/2).

فيرفع الله ذرية المؤمن إليه، بشفاعته التي يأذن الله بها، وإن لم يكونوا في الأعمال والتقوى كالآباء، فإنه سبحانه يلحق الأبناء بمراتب الآباء كرامة لهم¹.

وبالرغم أن الأنبياء عليهم السلام هذبهم الله بالوحي وتعهدهم بالإنبات الحسن، وغفر لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر، إلا أنهم استعانوا بسلاح الدعاء، وخير مثال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي كانت تنتظر قدماه وهو قائم عابد مبتهل لله عز وجل²، وقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تتحدث عن دعاء الأنبياء عليهم السلام لله عز وجل، ومن الأدعية التي وردت على لسانه صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: 94]، فهذا سيدنا زكريا عليه السلام دعا ربه أن يرزقه ذرية سالحة، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: 38]، وقال تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف: 15]، وجاء على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 37] أي يا رب إنني تركت ذريتي بواد لا زرع فيه بمكة التي جعلتها حرما فحرمت التعرض والتهاون بها، فاجعل أفئدة الناس تتوق وتحترق شوقا إليهم، وارزقهم الثمار من كافة الأقطار فاستجاب الله له³.

¹ ينظر: الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، دمشق: دار الفكر، ط1، 1422هـ، (2514/3).

² ينظر: المصري، أبو العلاء محمد بن حسين، أسرار المحبين في رمضان، مكتبة التقوى ومكتبة شوق الآخرة، ط1، 2005م، (ص: 384).

³ ينظر: المراغي، أحمد بن مصطفى، ت: 1317هـ، تفسير المراغي، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (159-185/13).

إن من الأسباب التي ينبغي ألا نغفل عنها عند تربية الأطفال على الصلاة والمحافظة على الصلاة أن يستعين الإنسان بدعاء الله عز وجل، وأن يتأسى بإبراهيم عليه السلام، فإبراهيم عليه السلام كان يقول في

دعائه: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم:40].

وفي المقابل حذّر الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم من الدعاء على الأولاد فقال: "لَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ لَا تُؤَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ"¹، أي لا ينبغي للمرء أن يدعو على أولاده بل ينبغي له أن يحذر ذلك؛ لأنه قد يوافق ساعة الإجابة فينبغي له ألا يدعو عليهم، وإذا كانوا صالحين كان الأمر أشد في تحريم الدعاء عليهم، أما إذا كانوا مقصرين فينبغي أيضا ألا يدعو عليهم، بل يدعو لهم بالهداية والصلاح والتوفيق، هكذا ينبغي أن يكون المؤمن، وجاء حديث النبي صلى الله عليه وسلم بتحذير المسلم من الدعاء على ولده أو على أهله أو على ماله لئلا يصادف ساعة الإجابة فيضر نفسه أو يضر أهله أو يضر ولده².

¹ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق: باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، ح(3009)، (2304/4)
² ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، (ت: 1420هـ)، مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، جمعها: عبد الرحمن بن محمد الحميري، دار العاصمة، (386/6).

الفصل الثالث

واجبات الأمّ وحقوقها في القرآن الكريم

المبحث الأول: واجبات الأمّ تجاه أبنائها

المطلب الأول: تربية الأبناء على طاعة الله ورسوله:

الزوجة الصالحة هي من أسباب السعادة في الدارين، فإذا أراد الزوج أن يُقدّم على الزواج كان أمامه اختياران: إما أن يختار زوجة ذات مال وحسب ونسب وجمال، وإما أن يختار زوجة على أساس الدين لا على مقياس الهوى والمزاج، لذا، فإن الإسلام مهّد الطريق أمام السالكين وخيرهم، قال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِذْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ مِمْسَلَمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَلَبَّسْنَ عِبْدَاتٍ سَخِيحَاتٍ ثِيَابًا وَابْكَارًا﴾ [التحریم: 5]، وفي هذه السورة وضع الله عزّ وجل بين أيدينا صفات للزوجة الصالحة، منها ما هي عقديّة وفكريّة، ومنها ما هي تعبدية وعملية، ومنها ما هي خلقية تعود إلى طبيعة المرأة وبُنيّتها الجسميّة¹.

ومن أجل هذا رغّب الإسلام في اختيار الزوجة الصالحة ذات الخلق الحسن، التي تحافظ على دينها وأخلاقها، وتربي أولادها تربية إسلامية؛ قال تعالى: ﴿وَأَنذِكُمْ أَوْلَادَكُمْ لِلْيَقِينِ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكُمُ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: 32]، فحريّ بالمرأة الصالحة التي تخشى الله أن تعتني بأبنائها وكافة شؤون بيتها، بما في ذلك طاعة زوجها، لعلمها بأن طاعة زوجها فيما لا يخالف الشرع من طاعة الله، ومعصيته من معصية الله، وهي إذ تُنفذ أمر الله في

¹ ينظر: عكاشة راند جميل، وزيتون منذر عرفات، الأسرة المسلمة في ظلّ التغيرات المعاصرة، عمان: دار الفتح للدراسات والنشر، ط1، 2015م، ص: 120.

طاعة زوجها في غير معصية الله تبارك وتعالى¹ فإنها تكون بذلك قدوة لأبنائها في احترام والدهم وتوقير الكبير، وهي إذ تحسن إلى أرحامها فإنها تعلم أبناءها صلة الرحم، وهي إذ تكفّ لسانها عن الغيبة فإنها تنشئ أطفالها منذ الصغر على معيار الحلّ والحرمة، فإنّ الطفل إذا رأى والدته تسرق أو تغتاب أو تكذب فإنه سوف يستمرئ ذلك، وينحرف في سلوكه.

وما من إنسان إلا قد وكل بمهمة يراها ويدبرها، فقد قال صلى الله عليه وسلم: " كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته"²

فمن أهم الواجبات التي فرضها الله تعالى على المسلمين، تربية الأبناء على طاعة الله، ومع ذلك تجد كثيراً من المسلمين يعتني بشؤون أبنائه في الدنيا عناية فائقة وبحرص شديد، ولا تجد هذا الحرص في الأخذ بناصية أبنائه إلى التقوى وتعليمهم أمور دينهم، بل قد تجده لا يهتم أصلاً³.

لقد أوكل الله سبحانه وتعالى إلى الوالدين ثقة كبيرة وهم الأبناء، وأمرهم بتنفيذ مصالحهم الدينية والدنيوية من التعليم، والتأديب، والامتناع عن الفساد، والحث على الصلاح، والأمر بطاعة الله، والدوام على مراقبته وتقواه، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَكِّيَّةٌ غِلَظٌ شَدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: 6]، وهذه الآية دليل من الله تعالى على ضرورة تأديب الأبناء ودعوتهم إلى طاعة الله ، وكبحهم عن فعل ما يستحقون به العقوبة وذلك بتعليمهم وإرشادهم، ومن مقتضيات إرشاد الأبناء: الأمر بالمعروف في الدين للأقرب

¹ ينظر: القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، الهدى النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، ط1، 2011م، (37-40).

² البخاري، صحيح البخاري، (كتاب الجمعة/ باب الجمعة في القرى والمدن)، رقم الحديث: 893، (5/2)

³ ينظر: خليل، عادل محمد، أول مرة أتدبر القرآن، قدم له: فهد سالم الكندري، محمد الحمود النجدي، عبد المحسن زين المطيري، الكويت: شركة إس بي، ط13، 2017م، ص247.

فالأقرب، وتعليمهم العبادات صغاراً كي يعتادوا عليها كباراً، وتعليمهم الأخلاق الحسنة، وأمرهم بقبول النصيحة¹.

فالأبناء موسى بهم من الله تعالى، فإما أن يقوم الوالدان بالوصية حقّ القيام، وإما أن يفرطوا بها ويضيعوها فيكون جزاؤهم العقاب الأليم².

فمن واجبات الأمّ تجاه أبنائها تربيتهم تربية مفعمة بالإيمان، قائمة على حب الله والافتداء برسوله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من السلف الصالح، وأن تغرس في نفوسهم عقيدة التوحيد، وحبّ العبادة لله الفرد الصمد، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، فعبادة الله عز وجل هي الغاية التي خلق الله الخلق لها، وبعث الرسل يدعون إليها، عبادة تتضمن محبته ومعرفته والإقبال عليه والإنابة إليه والإعراض عن سواه، إذ إنّ من كمال وتمام العبادة معرفة الله³، فإذا نجحت الأمّ بذلك فقد فازت فوزاً عظيماً ونالت مرضاة الله، وحظيت بغنيمة تسرّها في الدنيا والآخرة، وتكون بذلك قد شيّدت أساسات متينة سليمة لجيل ينشأ على طاعة الله، فهي مسخرة لخدمة الدين، وهذا أعظم عمل تقوم به الأمّ، كونها الأساس والركيزة التي يعتمد عليها في صلاح الأبناء.

فقد أمر الله سبحانه إمام الأمة محمداً عليه الصلاة والسلام بالصلاة، وأمره بأن يأمر أهل بيته بها⁴ قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: 132]، وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة للأبناء والمربين، فوجب عليهم أن يحضوا أبناءهم على الصلاة وملازمتها.

¹ ينظر: القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، (ت: 465هـ)، لطائف الإشارات، تفسير القشيري، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، (607/3).

² ينظر: السعدي، ، تفسير السعدي، (116/1).

³ ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، (813/1).

⁴ ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (43/4).

ويستشف دور الأم وتأثيرها على أبنائها من خلال عرض القرآن الكريم لقصة نوح عليه السلام ودعوته لابنه الكافر أن يلحق بركب السفينة مع المؤمنين للنجاة من الهلاك، فأجاب الولد نوحاً عليه السلام بأنه سيأوي إلى جبل ليحتمي به، قال تعالى على لسان ابن نوح: ﴿قَالَ سَأُوَىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ [هود: 43]، فمات بعدها الابن كافراً، ولعل ابن نوح عليه السلام سلك طريق الكافرين واتبع نهجهم متأثراً بشخصية أمه وتربيتها له، فقد ورد في نص القرآن أن امرأة نوح كانت كافرة¹ قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: 10].

وعلى الأم تنمية الأخلاق الحسنة التي أمر بها الله ورسوله في شخصية أبنائها، بتعليمهم على الصعيدين النظري والعملي بممارسة مكارم الأخلاق، والواجب على الأم ربما يكون أكثر منه على الأب كونها تلازم أبنائها أكثر منه، فيكون دورها أوجب في تأديب أبنائها بأداب الإسلام الخالدة وأخلاقه الفاضلة منذ الصغر، ومن ذلك: الأمانة والصدق، واحترام الكبير، ومحبة الآخرين، وتنزيه أسنتهم عن الشتائم والسباب، وعن كل ما ينبئ عن سوء التربية وفساد الخلق.

كذلك فهي مسؤولة عن ترفيعهم عن دنيا الأمور، وقبائح الأخلاق، وعن كل ما يحط من المروءة والعفة والشرف، وعلى تعويد الأبناء على مشاعر إنسانية فضيلة وإحساسات عاطفية نبيلة وكريمة، كالإحسان إلى اليتامى والتصدق على الفقراء والعطف على المساكين ومساعدة كبار السن، إلى غير ذلك من هذه المسؤوليات التي ترتبط بالتهذيب والأخلاق.²

¹ ينظر: رجب، مصطفى، التربية الوالدية في ضوء القرآن والسنة، جمعية الثقافة من أجل التنمية، عدد 58، 2012، (18/17).

² ينظر: كيوان، أميرة الشناوي السيد، معالم إرشادية في تربية الأبناء، الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ع: 653، (75).

ولا يعني ذلك التقليل من واجب الأب وتحميل الأم كامل المسؤولية، بل إنّ الواجب الملقى على عاتقه كبير، كونه قوام على الأم وأبنائها، ولأن له هيبة الأب والرجل، إلا أنه وبحكم عمله وانشغاله في تأمين قوت الحياة والمصاريف اللازمة والواجبات الملازمة له فقد كان دور الأم أكبر في تربية أبنائها؛ فهي ترافقهم أغلب وقتهم، وتعايش أمورهم اليومية.

وقد قصّ علينا القرآن الكريم قصة الابن العاق الذي دعاه والداه إلى التوحيد ودخول دين الحق دين الإسلام، فأهانها ورفض وأبى، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أُفٍّ لَّكُمْ أَتَعَدَّيْنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَكْفُرُونَ بِهِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ فَاعِلُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف: 17]، فهذه الآية تدلّ على وجوب تعاون الأم مع الأب في تربية وتنشئة أولادها تنشئة دينية سليمة.¹

فمن ترك ولده سدى وأهمل تعليمه بما ينفعه، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وإن أكثر الأولاد جاء فسادهم من إهمال الوالدين، وترك تعليمهم أصول الدين وفرائضه وسننه، فأضاعوهم صغاراً فلم ينفعوا أنفسهم ولا آباءهم عند اشتداد عودهم، كما عاتب بعضهم والده على عقوقه قائلاً: أضعتي وليداً فأضعتك شيخاً، وعققتني صغيراً فعقتك كبيراً.²

المطلب الثاني: الإعداد البدني للأبناء

أنعم الله سبحانه وتعالى على الوالدين نعماً كبيرة لا تعدّ ولا تحصى، وخصّهم بنعمة لا يمكن التقريط والتهاون بها، ألا وهي نعمة الأبناء، فمن الجدير بهم المحافظة عليها والاهتمام بها، فالأبناء عطية الله وهبته إلى الأبوين، ومن تمام شكر هذه النعمة القيام بواجباتها، ومنها إعدادهم بدنياً.

¹ ينظر: رجب، مصطفى، دور الأم في التربية من منظور إسلامي، مجلة التربية: اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، ع123، 1997م، (116-117)

² ينظر: ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، (1/229).

ويبدأ دور الأم في المحافظة على الأبناء منذ علمها أن في رحمها جنيناً يحتاج للتغذية والرعاية؛ فالإعداد البدني لمسئولية الأم ابتداءً، من حيث الرضاعة، وقد أوصاها الله تعالى بذلك فقال: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: 233] والمراد بالوالدات: الأمهات -سواء أكن متزوجات لآباء الأولاد أم مطلقات-، وجاء الأمر بصيغة الخبر فقال: ﴿يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [البقرة: 233]، للإيماء بأن هذا الوجوب يتفق مع طبيعة الأمومة وتتادي الفطرة به، والأمهات يلبين النداء بداع من نفوسهن، فكان التعبير مقراً للأمر التكليفي ومفيداً للأمر الفطري.¹

وَدَلَّ قول الله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: 233] على أن مدة الرضاعة لا تكون عامين بالضرورة، بل يجوز فطام الرضيع قبل الحولين، والتحديد هذا جاء لقطع التنازع بين الزوجين في مدة الرضاعة، فلا يجب على الزوج إعطاء أجرة الرضاع لمدة تزيد عن حولين، وإذا أراد أن يفطم الرضيع قبل الحولين ولم ترض الأم فلا يجوز له، والزيادة أو النقصان عن الحولين تكون مشروطة بعدم الإضرار بالرضيع، ورضا الوالدين.²

وبعد انتهاء مدة الرضاع تبدأ جهود الأم بالفطام، والتدرج بإطعام الطفل، وذلك بتقديم ما يناسب عمره، إضافة إلى متابعتها المسائل المتعلقة بلباسه ونومه ونظافته.

ومن ثمَّ تبدأ في تربية الأبناء تربية سليمة، بأساليب هادفة منها التربية على الاستئذان، وذلك بتعريف الأبناء بالعورات وحدودها من خلال آية الاستئذان التي أوجبت عدم الدخول إلى البيوت دون استئذان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن

¹ ينظر: أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، (ت: 1394هـ)، زهرة التفسير، دار الفكر العربي، (804-805).

² ينظر: الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دمشق: دار الفكر المعاصر، ط2، 1418هـ،

قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ﴿النور: 58﴾، وكذلك تعريف الأبناء بمعنى بلوغ الحلم، وما يترتب عليه من واجبات وحقوق، وكما يتبع ذلك تعريف البنات بمعنى المحيض وما يلحقه من أمور شرعية، وتبصير البنات بما يجب عليهن من ستر عوراتهن، وعدم التبرج بالزينة، وتدريبهن على المشية المستقيمة التي لا تكشف مفاتن الجسد، قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: 31]، وكذلك تعليم البنت عدم إظهار ما لا يجوز لها إظهاره من جسدها أمام عموم النساء، فهناك من يصف منهن مفاتن المرأة أمام الرجال وهذا محرم، فتقع على الأم مسؤولية تعليم ابنتها حفظ نفسها وجسدها، ليس من الرجال فقط بل من النساء اللواتي لا يخفن الله ولا يتقينه أيضاً. كما أنّ عليها تعليم ابنتها ستر نفسها أمام محارمها من الرجال، فلا يعقل أن تلبس لباساً غير محتشم أمامهم، لأنّ من مفاسد ذلك أن ينظر الأخ لأخته بشهوة، وأن ينظر الأب لابنته نظره غير لائقة.¹

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ السَّبَاحَةَ وَالرِّمَاطَةَ وَالْفُرُوسِيَّةَ) فلا مانع من تعليم الأبناء بعض التمرينات الرياضية التي تقوي جسده وتنشط جسده وتنشط روحه.²

ويظهر أن الحث على تعلم السباحة، إنما ظهر في الإسلام، بعد الفتوح، وذلك بعد أن اتصل العرب بالأنهار الواسعة العميقة وبالبحار، فأجبرهم الواقع على تعلم العوم، ونجد "الحجاج" يقول لمعلم ولده: "عَلِّمْ ولدي السباحة قبل الكتابة، فإنهم يصيبون من يكتب عنهم ولا يصيبون من يسبح عنهم"³.

ومثل هذه الوسائل التي فيها لعب وترفيه عن الصغير لا بُدَّ له منها، فهي نافعة لجسده، ومذهبة للملل عن روحه ونفسه، يقول الغزالي: "وينبغي أن يُؤدَّن له -أي: للصغير- بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً

¹ ينظر: رجب، التربية الوالدية في ضوء القرآن والسنة، (20، 19).

² ينظر: بالي، وحيد بن عبد السلام، الطريق إلى الولد الصالح، السعودية: دار الضياء للنشر والتوزيع، 2011م، (ص: 56).

³ ينظر: علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: دار الساقى للنشر، ط4، (15/299).

جميلاً، يستريح إليه من تعب المكتب، بحيث لا يتعب في اللعب، فإن مُنَع الصبي من اللعب، وإرهاقه إلى التعلم دائماً؛ يميت قلبه، ويبطل ذكائه، وينغص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً¹.

المطلب الثالث: الإعداد النفسي للأبناء

هناك علاقة وثيقة بين بناء الشخصية الفردية والصحة العقلية والنفسية، ويعد تكامل الشخصية في المفهوم الإسلامي القائم على غرس أسس الإيمان المكتسبة والتي لها أساس فطري وهو الفطرة السليمة هو شرط ضروري للصحة النفسية والوئام الاجتماعي الطبيعي، ومن أهم العوامل التي تعكر صفو هذا الاندماج عدم وجود اعتقاد راسخ يشرح للإنسان وجوده وحياته والكون ومصيره، بالإضافة إلى الصراعات النفسية العنيفة وما يتصل بها -سواء كانت واعية أو غير واعية- وترتبط الصحة النفسية ارتباطاً وثيقاً بجودة التعليم وأساليبه ومحتواه -وغياب الدين والدوافع الدينية، والعدد الكبير من الصراعات الداخلية والخارجية -الوعي واللاوعي- وعدم القدرة على الانسجام بشكل صحيح مع المجتمع والآخرين، وعدم القدرة على العمل والإنجاز وعدم القدرة على العطاء².

بين الشرع الحنيف أن للتربية النفسية أثر كبير في نشأة الأبناء، ولذا فقد عني بها أيما عناية. وتبدأ هذه العناية والإعداد النفسي بدعاء الأم ربها أن يجعل ما في بطنها صالحاً رحيماً، ويحفظه بحفظه، ويبعد عنه الشيطان ورجسه، ونيتها أن تجعله خادماً للإسلام والمسلمين كما فعلت امرأة عمران عندما نوت أن تجعل ما في بطنها محرراً³، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ [آل عمران: 35]، ومعنى محرراً أي مُخلصاً للعبادة، أو خادماً للديعة، أو عتيقاً من الدنيا وأوامرها

لطاعة الله سبحانه جل جلاله⁴.

¹ الغزالي، إحياء علوم الدين، (73/3).

² ينظر: السمالوطي، نبيل، بناء المجتمع الإسلامي، القاهرة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط3، 1998م، (ص: 155).

³ ينظر: عزام، أحمد، الإعداد النفسي للطفل في ضوء الكتاب والسنة، جامعة القدس المفتوحة، ع9، 2007م، (293-294).

⁴ ينظر: العز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز، (ت: 660هـ)، تفسير العز بن عبد السلام، ط1، بيروت: دار ابن حزم، 1996م،

(259/1).

وقد أشار القرآن الكريم إلى العلاقة المتينة بين الأم وولدها كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنتَ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ [مريم: 27]، فالتعبير القرآني في هذه الآية صريح ودال على أثر التصاق الطفل بأمه، وتأثيره على المدى البعيد، فهذه أم موسى تؤمر بإرضاع طفلها قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: 7].

والأبناء في السنوات الثلاثة الأولى بحاجة إلى عطف الأم وحنانها، لذلك امتن الله سبحانه على موسى وأمه بأن جمع بينهما، قال تعالى: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [طه: 40]، فرده سبحانه إلى أمه كي تقر عينها بولدها ولا تحزن، وهذه نعمة من الله وفضل لكليهما، حيث لا يمكن لغير الأم أن توفر الأمان كما يوفره حضن الأم¹.

وقد أعطى الإسلام الأم مسؤولية كبيرة في تنشئة الأطفال وإعدادهم، وما سيرة الأنبياء والصالحين إلا نبزاً ومعلماً لهذا، فعيسى وموسى عليهما السلام اللذان اشتدَّ عودهما في كنف أمهاتهن، ومريم بنت عمران التي كان لأمر الأثر الأكبر في تنشئتها، وكثير من صلحاء الأمة الإسلامية وعلماءها الذين تفردت الأم بتربيتهم².

كما أن غرس الصفات الحسنة في الأبناء منبعه الأم، فهي التي تغرس في نفوسهم العزة والصرامة والانضباط عند الغضب، وتحررهم من الصفات والسلوكيات القبيحة المؤثرة على حياتهم النفسية كالخجل المفرط، والشعور بالنقص، والغيرة والحسد، وغيرها³.

¹ ينظر: أبو زهرة، زهرة التفسير، (4725/9).

² ينظر: الأبرش، مها عبد الله عمر، الأمومة ومكانتها في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، 1996م، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، (99-107).

³ ينظر: كيوان، معالم إرشادية في تربية الأسرة، (76).

وكذلك فإنَّ الحنان والعطف باعتدال، من غير إفراط ولا تقريط هما أساس الصحة النفسية، ولهذا مدح الرسول عليه السلام صفة الحنان في نساء قريش بقوله: "صالحُ نساءِ قُرَيْشٍ أحنأهُ على وُلْدٍ في صِغَرِهِ وأزعاهُ على رُؤُجٍ في ذاتِ يَدِهِ"¹.

والتربية النفسية لا تتأتى فقط بما تمنحه الأمّ من حنان ورعاية وعطف جُبلت عليه، وإنّما لا بد من تعاضد الوالدين جميعاً وتماسكهما في تهيئة البيئة المنزلية لتكون بيئة مستقرة صالحة متزنة وهادئة، ينمو فيها الأبناء واثقين من أنفسهم، وقد ثبت أنّ الكثير من الأمراض الخلقية كالأنانية، والافتقار للإحساس بالمسؤولية، وفقدان الثقة بالنفس بذرتها الأصلية المنزل، الأمر الذي يجعل من الصعب على البيئة الخارجية كالمدرسة والمجتمع انتزاعها واستئصالها واستبدالها بالخير.²

المطلب الرابع: رعاية الأبناء والعدل بينهم.

الأمّ هي أكثر من يؤثر في الأبناء وحياتهم ، لذلك كانت مسؤوليتها مضاعفة في رعاية الأبناء ومتابعتهم وملاحظة التغيرات الطارئة عليهم في مراحلهم العمرية، فاكتشاف أخطائهم بمرحلة مبكرة يساعد في تصحيحها،³ ومن الحقوق المهمة بين الأولاد العدل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90]، وقال صلى الله عليه وسلم: (اتَّقُوا اللَّهَ واعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ)⁴، فلا يجوز تفضيل الذكور على الإناث كما كان يفعل أهل الجاهلية، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: 58]، فمن أوجه التمييز عندهم أنّهم كانوا يغضبون الغضب الأليم إذا بشروا بالأنثى، وكأنّ سوءاً مسهم، فلا يجوز تمييز الإناث على الذكور، ولذلك أدب الله المسلمين على الرضا

¹ البخاري، صحيح البخاري، (كتاب النكاح: باب إلى من ينكح وأي النساء خير، وما يستحب أن يتخير لنطفه من غير إيجاب)، حديث رقم: (5082)، (6/7)

² ينظر: الشهود، التربية النفسية وأثرها في بناء الجيل، (634)

³ ينظر: القحطاني، مقومات الأم العربية في ضوء القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية المعاصرة، (936).

⁴ البخاري، صحيح البخاري، (كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها/باب الإشهاد في الهبة)، ح(2587)، (158/3).

بما قسمه لهم، فقد كان السلف الصالح رحمهم الله يعدلون بين أبنائهم حتى في صغائر الأمور، لكي لا ينشأ في نفوسهم الحقد والكرهية، فهناك مفاصد تنتج عن عدم العدل والإنصاف بين الأبناء منها توغر صدور الأخوة بعضهم على بعض، ونتاج ذلك ما حصل بين يوسف عليه السلام وإخوته¹ قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنََّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: 8]، حيث ظنَّ إخوة يوسف أنَّ أباهم فضَّل يوسف وأخاه من أمه عليهم، الأمر الذي جعلهم يصفون أباهم بالضلال، وعدم القدرة على تدبير أمور الدنيا².

وقد أمر الله بالعدل، فقال في كتابه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُورًا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓيَ ءَلَّا تَعْدِلُوْا أَعْدِلُوْا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى﴾ [المائدة: 8]، و"عن النعمان بن بشير، قال: نحلني أبي نحلا، ثم أتى بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشهده، فقال: أكل ولدك أعطيته هذا؟ قال: لا، قال: أليس تريد منهم البر مثل ما تريد من ذا؟ قال: بلى، قال: فإني لا أشهد، قال ابن عون: فحدثت به محمدا، فقال: إنما تحدثنا أنه قال: قاربوا بين أولادكم"³ ويظهر العدل من خلال المساواة بين الأبناء في المعاملة، حتى في صغائر الأمور كالاتسامة والقبلة، وعلى المستويين المادي والمعنوي، وفي كل الظروف والحالات ما أمكن، فهناك علاقة طردية بين العدل بين الأبناء من جهة والاستقرار والأمان في الأسرة من جهة أخرى، حيث إنَّه كلما تحقَّق العدل بين الأبناء زادت المودة والألفة داخل الأسرة، ونمى الاستقرار النفسي والراحة، ورفرت أجنحة الحبِّ والإخلاص، وزالت خيوط الغيرة والبغض. بينما يؤدي التمييز بين الأبناء إلى النزاع والخصومة، وإضرار العداوة بداخلهم إلى حدِّ انفجارها، الأمر الذي يؤدي إلى تمزيق نسيج الأسرة.⁴

¹ ينظر: الشنقيطي، محمد بن محمد المختار، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الاسلامية، (7/4).

² ينظر: حوى، سعيد، (ت: 1409هـ)، الأساس في التفسير، القاهرة: دار السلام، ط6، 1424هـ، (2635/5).

³ مسلم: صحيح مسلم، (كتاب الهبات/ باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة)، رقم الحديث: (1623)، (1244/3).

⁴ ينظر: القزاز، محمد سعد، التربية الوالدية في مرحلة الطفولة المبكرة، مصر: دار فرحة للنشر والتوزيع، ط1، 2005م، (115-117).

والواقع في هذه الأيام خير دليل، فكثير ما يُسمع عن علاقات بين الأخوة غير موفقة، يغلب عليها الأنانية، لذلك حذر الاسلام من عواقب الظلم عامة، وبين الأولاد خاصة، فقد قال أهل العلم: "إنَّ الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده، فإنه كما أن للأب على ابنه حقاً فللابن على أبيه حق".¹

وعلى الأم أن تتابع أبناءها، وترشدهم لاختيار الرفيق الصالح الذي تستقيم معه أمور دينهم ودنياهم، فالصاحب صاحب وهو مرآة تعكس أخلاقه على صاحبه، فأى رعاية للأبناء أفضل من تعزيز قدراتهم على اختيار الخليل الصالح، وركيزة هذا الأمر هي الأم بخطوات مُمنهجة فتقربهم من الصالحين بالصغر، ثم تتدرج لتجعل منهم مبدعين قادرين على التمييز بين الصالح وغيره.

¹ ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، (299/1).

المبحث الثاني: حقوق الأم

المطلب الأول: بر الأم والإحسان إليها

برُّ الوالدين يعني: الإحسان إليهما، والتودد لهما، والتعطف عليهما، والرفق بهما، والرعاية لأحوالهما خاصة عن الكبر، وأداء حقوقهما، وطاعتهما في كل معروف وبرِّ بنفس راضية مطمئنة¹.

جاءت نصوص الكتاب الكريم تأمر ببرِّ الوالدين لما لهما من مكانة عظيمة، وقد ورد ذكرهما مقترناً بعبادة الله والإخلاص له؛ حيث قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: 36]، وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23].

فقد جعل الله عز وجل الإحسان للوالدين حقاً مفروضاً على الأبناء كما في الآيتين الكريمتين، والمقصود به: معاملتهما معاملة حسنة، ومعاشرتهما بالمعروف والتواضع لهما، وامتثال أمرهما، والرأفة بهما، والقيام بسائر ما أوجبه الله على الولد لوالديه من الحقوق، وصلتهم والقيام بما يحتاجون إليه بحسب الطاقة وبقدر ما تبلغ إليه القدرة.²

وحكى الله تعالى عن برِّ عيسى عليه السلام بأمه حيث قال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدِيهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: 30-33]. وعرض لقمان لعلاقة الأبوة والأمومة بأسلوب يفيض انعطافاً ورحمة: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ

¹ القحطاني، سعيد بن علي، أنواع الصبر ومجالاته - مفهوم، وأهميته، وطرق، وتحصيل في ضوء الكتاب والسنة، (ص: 7).

² ينظر: الشوكاني، فتح القدير، (1/126).

حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَضَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿لَقمان: 14﴾،

ويقرن قضية الشكر لله بالشكر لهذين الوالدين فيقدمها عليها: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾¹.

فذكر بره بوالدته وإكرامه لها، وقرن برها بجملة أمور هي من عظام الدين مما أوصى به رب العالمين، فجاء برها مقترنا بإقامة الصلاة وأداء الزكاة.

وجاء أمر الله سبحانه وتعالى بالإحسان للوالدين، كونهما سبب وجود الأبناء، وأمر بعبادته لغناه عن الإحسان، فسبب الوجود يستحق الإحسان لا العبادة، ولأن الله سبحانه فطر الوالدين على الرأفة والرحمة والشفقة على الأبناء فقد أمر الأبناء بالإحسان إليهما، والإحسان هنا يشمل القول والفعل والمواساة وما يلحق بها.²

كما أوصى الله تعالى بالشكر للوالدين، كما في قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ

وَهْنٍ وَفَضَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿لَقمان: 14﴾، والمقصود بشكر الوالدين في

هذه الآية: الاستغفار والدعاء لهما في كل صلاة،³ وكذا القيام بمتطلبات الشكر في كل مقام، وقد جاءت

هذه الآية صريحة في تقديم الله تعالى الأم على الأب في البر، فيلاحظ أن الخطاب في الآية الكريمة

انتقل مباشرة من الأمر ببر الوالدين إلى الكلام عن معاناة الأم في الحمل والإرضاع ولم تتطرق لذكر

الأب؛ ذلك أن الأم عانت بحمل الولد وولادته وإرضاعه والسهر على مرضه والقيام على أمره، وكذلك كون

الأم مجبولة بالفطرة على العطف، والحب، والحنان، والرحمة أكثر من الأب، ولذا قد يتساهل الأبناء في

حق الأم بسبب إظهارها لعاطفتها وشفقتها عليهم، ويتجلى ذلك عندما تصيب الابن مصيبة أو تحدث معه

¹ ينظر: عكاشة رائد جميل، وزيتون منذر عرفات، الأسرة المسلمة في ظلِّ التغيرات المعاصرة، ص39.

² ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (67/15).

³ السمعاني، منصور بن محمد، (ت:489هـ)، تفسير القرآن، الرياض: دار الوطن، ط1، 1418هـ، (230/4).

حادثة، فتتسى الأم كل تقصير بدر منه، وتهلّ عليه بالشفقة والدعاء، لهذا أوصى تبارك وتعالى بالأم وبرها وطاعتها أكثر من الأب.¹

وهو الذي يصرّح به الحديث الصحيح، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "جاء رجلٌ إلى رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم- فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ"²، إذ لا شك أنّ ذكر حقّها ثلاث مرات ثم ذكر حق الأب بعدها معطوفاً، من الأدلة الواضحة على الحق الذي تتمتع به الأم في الإسلام بحيث لا ينافسها بهذا الحق أحد حتى الأب.³

كما أن في "قرن شكر الوالدين بشكر الله تعالى، وهذا تكريم عظيم لهما من الله - عز وجل-".⁴

وقد أمر الله سبحانه بصحبة الوالدين، والمعروف إليها وإن كانا كافرين فقد فقال: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: 15]، أي صاحبهما في الطاعة ما لم يكن فيها معصية، والمعروف بالبر والصلة والعشرة الحسنة.⁵

وحذر الله جل جلاله من العقوق وعواقبه، وبين أنّ العاق لا تكون عاقبته في الآخرة فقط؛ بل يناله غضب الله في الدنيا قبل الآخرة، وفي قصة جريح العابد⁶ الذي قدم صلاته على إجابة دعوة أمه كانت سبباً في استجابة الله دعائها عليه، حين قالت: (اللهم فلا تمته حتى تریه وجوه المومسات) عبرة وعظة، فجعل الله له عقوبة العقوق في الدنيا.⁷

¹ ينظر: علوان: عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، مصر: دار السلام للطباعة والنشر، 38، 2002م، (293/1).

² البخاري، صحيح البخاري، (كتاب الأدب/باب: من أحق الناس بحسن الصحبة)، حديث رقم (5971)، (2/8).

³ ينظر: القطرانة، علي مفلح، العاطفة الفطرية بين الوالدين والأبناء، هدي الإسلام، ع: 2، 2003م، (83،84).

⁴ الزهراني، مرزوق بن هياس، حقوق المرأة في ضوء الكتاب والسنة، ط1، 1428هـ، (175/1).

⁵ ينظر: البغوي، تفسير البغوي، (3/588).

⁶ مسلم، صحيح مسلم، (كتاب البر والصلة والآداب/باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها)، ح(2550)، (4/1976).

⁷ ينظر: الفريج، حامد بن يعقوب بن يوسف، بر الوالدين في القرآن الكريم دراسة موضوعية، السعودية: الجامعة العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، العدد:9، 2011م، (194).

من صور بر الأم والإحسان إليها:¹

1. طاعة الأم في غير معصية، فالطاعة تكون في المعروف، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق،

قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي

الْذُنُوبِ مَعْرُوفًا﴾ (لقمان: 15)، وتدل الآية على وجوب طاعة الوالدين إذا لم يأمر بمعصية أو شرك.

2. عدم التضجر منها ولو بكلمة أف، فقد قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تَهَرَّهْمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا

كَرِيمًا﴾ (الإسراء: 23) وليس المقصود من النهي هو عدم قول (أف) على وجه الخصوص، إنما

المقصود هو النهي عن أقل الأذى وهو أذى اللسان ولو بأوجز كلمة.

3. التلطف بالقول معها بالكلام الطيب الذي يحمل كل معاني الاحترام والتأدب، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمَا

قَوْلًا كَرِيمًا﴾

4. شكر الأم: فقد عانت الأم ما عانت من حمل ورضاعة وولادة وحضانة وتربية، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ

بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ

الْمَصِيرُ﴾ (لقمان: 14)، وحقيقة الشكر هو معرفة النعمة وإظهارها والثناء على المنعم ومكافئته،

ولو يتصور نعم الوالدين والأم خصوصا فلن يبلغ الإنسان حقه في شكرها مهما قدم من أعمال البر.

5. الإنفاق عليها إذا احتاجت، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِوَالِدَيْنِ

وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَاِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 215)

¹ ينظر: الفريج، بر الوالدين في القرآن الكريم: دراسة قرآنية، (196-209).

6. الدعاء لها والتصدق عنها في حياتها وبعد مماتها لقوله صلى الله عليه السلام: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا صدقةً جاريةً، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له"¹.

المطلب الثاني: حق الأم بالميراث

حظيت المرأة بكامل حقوقها في ظل الشرع الحنيف، في وقت كانت تحيا في غابة موحشة وفي زمن عم فيه مهانة المرأة، فجاء الدين الحق ليرفع مقامها إلى مكانة لم تعهدها من قبل، وأكرمها الله بحقوقها كاملة كما ينبغي لها.

فقد نزل القرآن في حين كانت المرأة محرومة من أبسط حقوقها، وفي هذا الجو المليء بظلمها قال الله عز وجل: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: 7]، وكان أهل الجاهلية لا يُورثون النساء ولا الصغیر وإن كان ذكراً، ولا يعطون إلا من قاتل على ظهور الخيل، وضارب بالسيف وطاعن بالرمح.²

وهذه الآية دليل قطعي على حق المرأة في الميراث، وقد وردت أحاديث تثبت هذا الحق أيضاً، منها ما ورد في صحيح البخاري كقوله صلى الله عليه وسلم: (لِلابْنَةِ النِّصْفُ، وَلِلابْنَةِ الْإِبْنِ السُّدُسُ، وَمَا بَقِيَ لِلأُخْتِ)³، وهذا يوضح أن المرأة ترث حسبما يقتضي الحال، وفي هذا المبحث سيكون الكلام عن ميراث الأم بشكل خاص، فهي ترث بالفرض فقط لا بالتعصيب، وميراثها ثابت لا يسقط أبداً، وأحوالها في الميراث ثلاث:

الحالة الأولى: ترث من ابنها المتوفى السدس إذا كان لابنها ولد أو فرع وارث، وذلك لقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا يُورِثُهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾

¹ مسلم، صحيح مسلم، (كتاب الوصية/ باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته)، رقم الحديث: 1613، (3، 1255).

² ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (45/5)

³ البخاري، صحيح البخاري، (كتاب الفرائض: باب: ميراث الأخوات مع البنات عسبة)، حديث رقم (6742)، (8/152).

فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿النساء: 11﴾.

الحالة الثانية: تراث الأم من ابنها المتوفى الثلث، لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ [النساء: 11].

فإن لم يكن للميت ولد ذكر أو أنثى، وورثه أبواه دون غيرهما من الورثة، فلأمه الثلث، أي ثلث ما ترك من مال وغيره.¹

الحالة الثالثة: تراث الأم ثلث الباقي بعد أخذ الزوج حقه، في حال توفيت البنت ولا وارث لها إلا الزوج والأم والأب في العمريتين وتسمى الغزاوين² وهما:

1. زوج وأم وأب، للزوج النصف لعدم وجود الفرع الوارث، وما تبقى بعد أن يأخذ الزوج النصف فهو للأبوين، تأخذ الأم ثلثه ويأخذ الأب ثلثيه، وأصل المسألة 6، فنصيب الزوج ثلاث حصص، والأب حصتان، والأم حصة واحدة.

2. زوجة وأم وأب، للزوجة الربع، وللأم ثلث الباقي، وللأب ثلثاه على فرض أصل المسألة 4 فنصيب الزوجة حصة واحدة، والأب حصتان، وللأم حصة واحدة.³

¹ ينظر: الطبري: تفسير الطبري، (36/7).

² سميت العمريتين نسبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسميت الغزاوين لأنها مستقاة من الغرة، يعني: كأنها شامة على الجبين بيضاء تظهر، عبد الغفار، محمد حسن، مهمات في أحكام الموارث، (6/4).

³ ينظر: التويجري، محمد بن إبراهيم، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، ط11، 1431هـ، (886/1).

الفصل الرابع

جهود الأم وتضحياتها في القرآن الكريم

المبحث الأول: مشاق الحمل والإنجاب

زَيْنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا الْأُسْرَةَ بِالْأَبْنَاءِ، فَقَالَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: 46]. فوهب سبحانه وتعالى الأنثى ميزة إنجاب الأطفال، وهياها نفسياً وجسدياً لعنايتهم والقيام على حاجاتهم ومصالحهم، وفطرها على حبهم والحنو عليهم صغاراً وكباراً.¹ وهي أمانة أودعها الخالق في رحم الأم وخصها بها، على الرغم من كونها ذات طبيعة رقيقة وبنية جسدية ضعيفة، فقال تعالى في محكم كتابه واصفاً معاناتها: ﴿وَوَضَعْنَا لِإِنْسَانَ بِيُولَدَيْهِ حَمَلَتُهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ [لقمان: 14]، أي ضعفاً على ضعف، لأن الحمل كلما زاد وعظم ازدادت الأم ثقلاً وضعفاً وتعباً.²

وتشير الآية الكريمة إلى اللون الخفي في الصورة التي تكوّن منها الصغير، ونبت في حجر والدته، ولفته إلى الخيط الهافت الرفيع الماكن الذي أمسكت به الأم نطفة ثم علقه وما زالت متمسكة به حريصة وحذرة، وتقرز له من عصارة حياتها ما يقويه على الأيام ويزيده صبراً ونماء؛ حتى ينفصل عنها طفلاً وتحمله بين يديها وتضمه إلى صدرها وترضعه من لبنها إلى الفطام، ويرفع فمه عن هذا الينبوع الذي يمتص منه رحيق حياته وشهدها، ويبدأ بعدها استقبال ما يمده به والداه من غذاء حتى ينضج ويكبر ويشب ويستطيع الاعتماد على نفسه ويسعى في الحياة.³

وتأتي جملة حملته أمه وهناً على وهن موضع التعليل للوصاية بالوالدين، والقصد هنا التأكيد على تلك الوصاية، لأنّ تعليل الحكم يفيد تأكيداً، ولأنّ في الجملة ما يبعث في نفس الولد على برّ أمه ويستتبع برّ

¹ ينظر: الزعبلوي، الأمومة في القرآن الكريم والسنة النبوية، (145).

² ينظر: النيسابوري، غرائب القرآن ورجائب الفرقان، (425/5).

³ ينظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (567/11).

أبيه، وفي تعليل الوصاية بالوالدين ذكر أحوال خاصة بأحد الوالدين وهي الأم وليس كليهما، ووصاية الأب في هذه الحالة تُحمل على القياس.¹

فلا كلام يفصح ويبرز معاناتها كقول أرحم الراحمين: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15]، "والإحسان خلاف الإساءة والحسن خلاف القبيح"² "والكره هو المشقة في الحمل حين يتقل الحمل، والمشقة في الوضع عند الطلق."³

والآية الكريمة تشير إلى أن القسوة في الحمل والمعاناة في الوضع من تعب وألم مباحث تستدعي برها واستحقاقها للكرامة وجميل الصحبة.⁴ وقد عبّر القرآن عن الولادة بالوضع، كناية عن صعوبة ومشقة تكاد تنهي حياتها، وقد جعل القرآن الكريم الوضع آية من آيات الله؛ فألم الولادة يفوق قدرة التعبير الإنساني على وصفه، ولذا جاء التعبير القرآني عنه بالكره،⁵ فحمل الأم جنينها في بطنها أياماً وشهوراً مترافقاً مع ما تعانيه من الألم صابرة محبة متشوقة لعطايا الرحمن، أمر ينسجم مع طبيعة الأنثى العاطفية،⁶ ومن ذلك تغليب سعادة متوقعة على ألم واقع.

¹ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (158/21).

² الرازي، تفسير الرازي، (14/28).

³ السمعاني: تفسير القرآن، (153/5).

⁴ ينظر: المراغي، تفسير المراغي، (17/26).

⁵ ينظر: الأبرش، الأمومة ومكانتها في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، (242/1).

⁶ ينظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (277/13).

وفي هذه الآية مسائل منها:

أولاً: قال المفسرون حملته أمه على مشقة ووضعته في مشقة، ولا يريد المشقة في بداية الحمل وأول أيامه، فإن ذلك لا يكون فيه مشقة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 189]، والمقصود هنا ابتداء الحمل فلا

يكون ذلك مشقة كونه نطفة وعلقة ومضغة بل الكره والمشقة إذا أثقلت وبعدها جاءها المخاض.¹

ويرد على هذا القول بأن واقع حال الأم يثبت معاناتها من مشاق الحمل في البدايات، فالبعض منهن يعاني من ألم الغثيان والقيء حتى من شربة الماء، والبعض يصيبه دوران وخمول إلى درجة لا يستطيعن معه قضاء الحاجة، وهذا من قبيل المشقة، إلا أنه يعتبر هيناً نسبياً إذا ما قورن بمشقة الثقل في الثلث الأخير من الحمل.

ثانياً: في هذه الآية دلالة على أن حق الأم أكبر وأعظم، لأن الله تعالى قال أولاً: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الأحقاف: 15]، ثم خص الأم بالذكر دون الأب، فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: 15]، وهذا دليل على أن مشاقها أكثر وأعظم من الأب.²

ثالثاً: بين الله سبحانه وتعالى أن مدة الحمل والفظام ثلاثون شهراً فقال: ﴿وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15]، حيث تبين الآية أقل مدة الحمل وهي ستة أشهر، لأن أكثر مدة للرضاع حولين، لقول الله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: 233]، وبذلك تُعرف أقل مدة للحمل وأكثر مدة للإرضاع، وفي هذه الأشهر تكابد الأم آلاماً جسمية ونفسية،

¹ ينظر: الرازي: تفسير الرازي، (14/28)

² ينظر: الرازي: تفسير الرازي، (15/28).

كقيامها الليلي نوات العدد إذا أصاب طفلها مرض، ترعى غذاءه واحتياجه بلا ملل ولا ضجر، وتحزن إذا ناله مكروه أو اعتل جسمه¹.

وذكر الشيخ محمد متولي الشعراوي في هذه الآية لفظة جميلة فقال: إن الله سبحانه جاء بالحيثيات للأم فقط دون الأب، لأن إحسان الأم لولدها بدأ منذ أن كان جنيناً في رحمها. فحافظت على نفسها وحرصت عليه أيما حرص قبل أن يتكون له فكر أو عقل، بينما الأب يكون بعيداً كل البعد عن هذا، لا يقترب منه إلا عندما يأتي للحياة، أو حتى عندما يكبر ليربيه ويعلمه على مكافحة الحياة؛ ففي الحمل والمهد لم يكن للطفل عقل ليرى تعب أمه ويشعر بالأمها ومكاببتها ليكبر، بينما بمجرد أن تكوّن عقله رأى أباه يعايشه ويلبي رغباته، فكان كلما طلب الولد من أمه حاجة قالت له: والدك يحقق لك ما تريد، أو يذهب مباشرة لوالده ليلبي حاجته، فهنا لا يدرك الولد أن من أَرْضَع وسهر على مرضه وقلقه هي أمه حتى أوصلته لهذه المرحلة، فتكون حيثيتها مخفية مستورة مغفولاً عنها، فذكر الله سبحانه بهذه حيثية فضلاً عن حيثية الأب المرئية،² فلذلك قال النبي: (أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ).³

وبعد تتبع كلمة وضع في القرآن يتبين أنها في معظم الآيات تحمل معنى الحط، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: 2]، أي "حططنا عنك ثقلك"⁴، إلا وضع الحمل فيكون كرهاً بمشقة وتعب ومعاناة، واستعمال القرآن للفظ الوضع بدل الإنجاب للإشارة إلى ثقل الحمل.

وقد خلق الله الإنسان في كبد، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: 4] فالكبد والمشقة جزء من قانون الحياة، يسري على الناس صالحهم وطالحهم، صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم، لكن القرآن الكريم أشار في أكثر من موضع لمشقة الحمل والوضع، وهذا مؤشر على تقدير واهتمام القرآن بهذه

¹ ينظر: المراغي، تفسير المراغي، (18/26)

² ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، (2214/4 - 2215).

³ البخاري، صحيح البخاري، (كتاب الأدب/باب من أحق الناس بحسن صحابتي.)، ح(5971)، (2/8).

⁴ القرطبي، تفسير القرطبي، (106/20).

المسألة، فتركيز القرآن على هذه القضية يبين أنها ذات مغزى، ومن ثمّ وجب تولية مشقة الحمل والإنجاب ما تستحقه من الاهتمام الذي يجسده البرّ والإحسان للأم، وحديث القرآن عن تفصيل الأمّ الحمل والولادة دلّ على العناية القرآنية بالأم، وتقدير تعبها، وتمهيداً للوصية ها وبرها.

المبحث الثاني: مشاق الرضاعة

جعل الله سبحانه وتعالى الرضاعة من الفطرة، كون لبن الأم أفضل لبن وأنسب غذاء للوليد، لأنه تكوّن ونشأ في أحشائها، فلما برز وأتى إلى الدنيا تحول اللبن الذين يتغذى منه في الرحم إلى لبن يتغذى منه في خارجه.¹

قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: 233]، فالوالدة هي التي تقوم بإرضاع ولدها، وهي الأولى به؛ حماية ورعاية له، إذ إنّ حنان الأم ورعايتها لصغيرها في هذه الفترة لا يمكن لأي امرأة أخرى تعويضه.

وقد جاء اللفظ في هذه الآية على صورة خبر، لكنه يحمل في حناياه الإلزام والأمر، فهو أمر وخبر معاً حتى لا يأخذ على الوجوب الذي لا فكاك للأم عنه من جهة، وحتى لا تتحلل منه الأم من دون ضرورة، والأمر هنا لم يأت على وجه الإلزام والوجوب، لأنّ الأم في معزل أن يعطفها على ولدها أمر، فهي لن تترك هذا الأمر إلا إذا وقعت في ظروف أكبر من عاطفتها وحنوها.²

وقد حدد الله سبحانه وتعالى أقصى مدة الرضاع سنتان فقال: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: 233]، ويذكر الله في هذه الآية مدة الرضاعة ليس على سبيل الوجوب، إنّما تقدر بحسب حاجة الرضيع، وبذلك أيضاً يضمن حقّ الأم في الرضاع³، والحكمة من تحديد مدة الرضاعة هو العناية بشؤون الطفل، فإنّ لبن الأم هو الغذاء المرافق والملائم له في هذا السن، ويحتاج إلى شفقة واهتمام ورعاية لا تتوافر إلا عند الأم، وقد يرى الوالدان مصلحة الولد في إرضاعه أقلّ من هذه المدة، باستبداله تدريجياً بالطعام اللطيف.⁴

¹ ينظر: رضا، تفسير المنار، (2/329).

² ينظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (1/277).

³ ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي، (3/162).

⁴ ينظر: المراغي، تفسير المراغي، (1/186).

وقد اختلف في تحديد مدة الرضاعة، فقد ذهب جمهور العلماء على أن مدة الرضاعة لا تزيد عن حولين، وقد نقل عن ذلك، لقوله تعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَجِّمَ الرُّضَاعَةَ﴾ [البقرة: 233]، وذلك عائد للوالدين وما يروونه مناسباً لصحة طفلهم؛ فمن الأطفال من يحتاج إلى الرضاعة لسنتين، ومنهم أقل من ذلك كونه يستطيع تناول الطعام والاعتماد عليه، ويكون نموه سريعاً.¹

والرضاعة من الوالدة أمر إلهي، وقرآنٌ يُتلى حتى قيام الساعة،² فلا يعزل الطفل عن حليب الأم إلا لضرورة؛ لأنه الأصل والأففع، فقد ثبتت منفعة الرضاعة الطبيعية للأم والطفل، كونه يقوي مناعته ويزوده بالبروتينات التي يحتاجها، وهو أمر منسجم مع كون أوامر الله تعالى لا تكون إلا إذا غلبت المنفعة الضرر، والمصلحة المفسدة.³

وعلى المولود له وهو الأب كفاية الأم المرضعة من طعام وكسوة لتقدر على خدمته والقيام بأمره -أي الرضيع-، وهذا ما بينه الله سبحانه في قوله ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 233]، وقد عبر القرآن الكريم بلفظ المولود له لأن الأولاد يُنسبون لأبائهم وبهم يدعون قال تعالى: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: 5]، والأمهات مستودعات لهم، وخلاصة ذلك أن الوالدة قد حملت وأرضعت ليحمل طفلها اسم الوالد، فعليه أن يُنفق عليها ما يكفيها، بحسب المعروف والذي يلائم بيئة الأم التي تسكنها، وبما يكون بمقدور الأب⁴ لقوله تعالى: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 233]، فالمرأة غير مكلفة بالصبر على التقدير في الأجرة، والرجل غير مأمور بالإسراف في نفقته، بل يراعي القصد.⁵

¹ ينظر: رضا، تفسير المنار، (324/2).

² ينظر: الأبرش، الأمومة ومكانتها في ضوء الكتاب والسنة النبوية، (258).

³ ينظر: البخاري: عبد الله بن الرحيم، حقوق الأولاد على الآباء والأمهات، مصر: دار السلف للنشر والتوزيع، 2011م، (31).

⁴ ينظر: المراعي: تفسير المراعي، (187-186/2).

⁵ ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي، (164/3).

وحرّم الله سبحانه جعل الأبناء وسيلة لضرار الوالدين ببعضهما البعض، فقال في محكم التنزيل: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ وَوَالِدٌ لِّبَوْلِدٍ لَّهُ بَوْلِدٌ﴾ [البقرة: 233]، والشّارع الكريم لا ينهى عن أمر إلا إذا كان فيه ضرر، فهى الأمّ أن تمتنع عن إرضاع ولدها تعجيزاً للوالد، أو تكلفته أكثر من وسعه في النفقة، أو تهمل في تربية ولدها لتغيظ والده، وفي المقابل نهى الوالد أن يضيق عليها في النفقة مع الإرضاع، أو أن يمنع الأمّ من إرضاع وليدها.¹

والأمّ أكثر إشفاقاً وحبّاً على وليدها، ومظاهر ذلك عديدة؛ فهي ترضعه لبناً ممزوجاً بالرحمة والعطف والحنان، وهي أصل منبته، وهي من تروي عطشه بالأوممة الدافئة، فتروي عطش الفؤاد بالمحبة، وظماً المعدة باللبن، لذلك فإنّ الرضاعة تقوي العلاقة بين الأمّ وولدها.²

وهذه المشاعر التي تتدفق من صدر الأمّ كلما درّ لبنها في فم ولدها تؤدّي إلى ازدياد العلاقة عمقاً وقوة، وهذه الضمة تريح قلب الأمّ وتكوّن صلة روحية معنوية تربطهما ببعضهما، فلا تضيّع وليدها حتى وإن ألقته في اليم،³ ويتضح ذلك جلياً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: 7] حيث أمر الله أم موسى إرضاع ولدها لتقوي بنيته، ولتكون هذه آخر رضاعة قوت له، قبل أن تلقي به في اليم، فتشده لحين التقاطه من آل فرعون، وعودته تارة أخرى إلى بيته.⁴

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: 233] إشارة إلى أنّ الفصال يعني الفطام؛ لأنّ الولد ينفصل عن أمّه ويكون مستقلاً في غذائه، والمراد بذلك أنّه لما ذكر

¹ ينظر: المراغي، تفسير المراغي، (187).

² ينظر: أحمد، أحمد محمد، بعض الأسس التربوية في ضوء القرآن والسنة، كلية التربية: جامعة أسيوط، العدد2، 2000م، (130-132)

³ ينظر: الرشدان: لبنى حسين، دور الأم المسلمة في إعداد العلماء، جامعة اليرموك: الأردن، 1994م، (27)

⁴ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (73/20).

حقّ الأمّ في الإرضاع وحدد مدته وذكر أنها تستحق الأجرة إذا كانت مطلّقة وهذا كله لتقرير المصلحة ودفعاً للضرر، كان هناك حق مشترك للوالدين في أمر فطامه بحيث يتم الاتفاق دون الضرر.¹

وقد سمى الله سبحانه وتعالى المراضع من غير الوالدات أمهات، فقال: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ [النساء: 23]، وفي الحقيقة هنّ غير أمهات، إنّما يُنزلن منزلة الأمهات لأنّ الطفل تغذى بلبنهنّ ونمى، والطفل مفطور على محبة زُرعت في قلبه لمن أرضعته،² ولذلك حرّم الإسلام زواج الرجل بامرأة جمعه معها رضاع.³

¹ ينظر: رضا، تفسير المنار، (328/2).

² ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (296/4)

³ ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، (2096/4)

الفصل الخامس

نماذج من الأمهات المذكورات القرآن

المبحث الأول: نماذج للأمومة الإيجابية:

أولاً: أم موسى عليهما السلام

يشير النص القرآني في العديد من المواضع إلى تجرّ فرعون ببني إسرائيل، سلالة النبيّ يعقوب بن إسحاق، ومن الآيات التي تناولت ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يذَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 4]، حيث يشير النصّ الكريم إلى أشكال الظلم التي تعرض لها بنو إسرائيل على يده، فكان يذبح أبناءهم، ويستبقي النساء ويستخدم الرجال منهم في الخدمة، والدافع وراء ذلك أنّ بني إسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم ما يأترونه عن إبراهيم عليه السلام، من أنّه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه، واشتهرت هذه الرواية في بني إسرائيل حتى بلغت فرعون، فأمر بقتل من يولد ذكراً من بني إسرائيل، حذراً وخوفاً من أن يكبر غلام ويقف أمامه ونصب عينيه ويقتله، لكن مع هذا لا يمنع حذر من قدر¹. وبذلك أصبحت النساء أشد حرساً على أبنائهن خوفاً من فرعون وطغيانه، وفي ذلك الزمان ولد موسى عليه السلام، وقد كانت أمه من الأمهات اللاتي تعرضن لظلم فرعون بعد أن ولدت موسى وحاولت إخفاء أمره عن فرعون وجنوده، ولكن شاء الله تعالى أن يكون لهذا المولود شأن آخر، وقد عرض القرآن الكريم قصة أم موسى عليهما السلام بأكثر من مشهد:

¹ ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت: 774هـ)، البداية والنهاية، دار الفكر، ط1، 1988، (238-237/1).

المشهد الأول: مشهد البداية (بدء التحدي)

فقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص: 7]، وقال سبحانه: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ۖ أَنْ أَرْضِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَأَلْقِيهِ إِلَىٰ يَمِّ السَّاحِلِ ۝٣٨﴾ [طه: 38-39].

تشير الآيات الكريمة إلى أن الله تعالى أمر أم موسى عند إنجابها ولدها أن ترضعه وتخفيه ما استطاعت، فإذا أحست أو شعرت بالخوف عليه أن تضعه في التابوت وتلقيه في اليم -نهر النيل-، وأن لا تخاف عليه من الهلك والغرق، ولا تحزن على فراقه، فإن الله بلطفه وعطفه على أم موسى وولدها سيعيده إلى حضنها¹ وفي كل أمر من الله حكمة، فأمر الله تعالى أم موسى بإرضاع ولدها حتى يألف لبنها و يتعلق به، وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن لا يقبل موسى عليه السلام أي لبن بعده، وربما كان هذا حتى لا يقبل أي امرأة ترضعه، فحكمة الله أن لا يقبل إلا لبنها².

وقد ذكرت الآية الخوف والحزن، ويفرق بينهما بأن الخوف يكون من أمر متوقع قد يصيب الإنسان -في المستقبل-، أما الحزن فهو غم يلحق بالإنسان لأمر قد وقع -في الماضي-³ فكأن الله سبحانه يقول لها: لا تخافي عليه من الهلاك، ولا تحزني على فراقه فإننا رادّوه إليك لتحضنيه وترضعيه⁴.

فألقت أم موسى فلذة كبدها في اليم كما أمرها الله سبحانه، وهذا عين الثقة بالله تعالى، فلولا تمام وكمال ثقته برب العالمين لما تجرأت على إلقائه في اليم وهي ترى الأمواج تارة تلاطم وتهاجم، وأخرى رقيقة

¹ ينظر: النخجواني، علوان، نعمة الله بن محمود، (ت: 920هـ)، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، مصر: دار ركايب للنشر، 1999م، (76/2).

² ينظر: الزين، علي بن سليمان بن محمد، بلاغة حديث القرآن عن قصة أم موسى، مصر: جامعة الأزهر، 2019م، (763)

³ ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت: دار الكتاب، 3، 1407هـ. (393/3).

⁴ ينظر: الرازي: تفسير الرازي، (579/24).

ساكنة، وتوكلت على ربها وهي لا تعلم أين سيقف به البحر، لكنها مطيعة لأوامر الله، متكلة عليه حق الاتكال؛ أنه لن ينزع منها ثمرة فؤادها إلا ليقربها منه ويكون أكثر أماناً.¹

ثم وعد الله أم موسى بأن يرد إليها طفلها ليطمئن قلبها ويملأه غبطة وسروراً، ووعداها بأن يجعله رسولاً نبياً².

المشهد الثاني: فراغ فؤاد أم موسى:

قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: 10].

كانت الأحداث هادئة ثم تصاعدت، فالأم بدأت تخاف أكثر، فما خافت منه وقعت فيه، فقد حصل ما كانت تخشاه وأشد، حيث وقع وليدها في يد فرعون، ووصل إلى قصره، وتوالي الأحداث هو المحرك الأساسي للقصة.

ثم ينتقل المشهد من قصر فرعون إلى بيت أم موسى التي فقدت عقلها، وأصابها الهلع والفرع بعد أن علمت أن موسى قد وقع في يد فرعون وجنوده.

وللمفسرين في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا﴾ [القصص: 10] أربعة أقوال:³

الأول: أن قلبها أصبح فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى.

الثاني: فرغاً، أي أصبح فؤادها فرغاً.

الثالث: فارغاً من الحزن، لِعَلْمِهَا أَنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ.

¹ ينظر: عبد الرحمن، ياسر، موسوعة الأخلاق والزهد والرفائق، القاهرة: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، 2007م، (256/2).

² ينظر: المراغي، تفسير المراغي، (37/20).

³ ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (376)

الرابع: فارغاً من وحي الله له بنسيانه.

والقرآن الكريم ينتقي الكلمة المعبرة -فارغاً- عن الموقف بدقة بليغة، والمصوّرة للحدث أتمّ تصوير، ليشعر القارئ بالحدث أتمّ شعور،¹ فهذه اللفظة كشفت المشاعر التي فاض بها قلب الأمّ تجاه وليدها، فهي لا تفكر إلا بموسى، وهذه اللفظة مصورة لعاطفة الأمومة، فالأحاسيس والمشاعر كلها تتجه نحو هذا الطفل، وما سيحصل له.

وفي هذه الآية كناية عن طيش اللب وفقدان العقل، ومعنى ذلك أنّها حين علمت بوقوع موسى عليه السلام بيد فرعون طار عقلها وفقدت صوابها، فأصابها فرط من الخوف والدهش والجزع.² والسرّ في هذا التعبير هو بيان ما ترك فقدان الولد من فراغ كبير في حياتها واختلاط أحاسيسها ومشاعرها من خوف، وشوق، وتوكل على الله، فبذهابه تعطلت مشاعر الأمّ التي تحسها بقرب وليدها، من اشتغالها في سهره ونومه وإطعامه ومناغاتها له ولعبها معه، فإنّ جوارحها تعطلت بعد أن كانت جميعها تعمل لرعاية الطفل والاهتمام به، ومركز ذلك كله هو قلبها الذي أصبح فارغاً لا يستقبل من الطفل مشاعر تغذي قلبها لينبض حباً وشعوراً ينعشها، بل أصبح ممتلئاً بالطاقات السلبية التي تثبت الفرع والقلق والأسى.³

ولولا أن تثبتها الله وربط على قلبها وألهمها الصبر لأعلنت أنّ هذا الوليد هو وليدها،⁴ قال تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: 10]، وفي الآية الكريمة استعارة، حيث شبه الصبر الذي قذفه الله في قلب أم موسى بربط الشيء المنفلت خوفاً وخشية

¹ ينظر: البيلي البديوي، أحمد عبد الله، (1384هـ)، من بلاغة القرآن، القاهرة: نهضة مصر، 2005م، (56).

² ينظر: أحمد مصطفى، محيي الدين، (1403هـ)، إعراب القرآن وبيانه، حمص/ دمشق/ بيروت: دار الإرشاد للشئون الجامعية/ دار الإمامة/ دار ابن كثير، ط4، 1415هـ، (286/7).

³ ينظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (315/10).

⁴ ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (395/3).

عليه من الضياع، فاستعار لفظ الربط للصبر.¹ ولا شك أن ما اعتري أم موسى -عليه السلام- من ذلك كان من مقتضيات الجبلية البشرية، ولا تلام في هذا؛ لأنه خوف طبيعي لا يؤثر في إيمانها.

المشهد الثالث: قص الأثر

قال تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [القصص: 8-9]، وقال: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِيُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ [طه: 39].

عندما ألفت أم موسى التابوت في اليمّ كان على البحر أمراً إلهياً واجباً أن يلقي التابوت على الساحل، لأنّ البحر ما كان له أن يعصي أمر الله.²

ثم التقط آل فرعون التابوت وكشفوا ستره، فوجدوا فيه وليداً رضيعاً فائق الحسن، يلفت الناظرين إليه، فلما رآه فرعون وزوجته وقومهما أعجبوا بحسنه وبهائه، فكان كل من يراه يحبه ويسعد لرؤيته، وهذا مقصود قوله تعالى: ﴿وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِيُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ [طه: 39].³ من أجل ذلك أحبته امرأة فرعون وتعلق قلبها به وانشرح صدرها لرؤيته، فأصرت على تمسكها به على الرغم من معارضة فرعون؛⁴ فهذه هي إرادة الله عز وجل أن يكونوا غافلين عن هذه اللحظة التي تجر لهم حزناً وعدواً. وقالت امرأة فرعون في هذا الحين لزوجها لا تقتله كما تقتل أبناء بني إسرائيل، فلنريه كما نريد ويصبح قرّة عين لي ولك

¹ ينظر: الصابوني، صفوة التقاسير، (393/2).

² ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (27/4).

³ ينظر: النخجواني، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، (76/2).

⁴ ينظر: عبد المجيد، أماني محمد هاشم، من مظاهر الأحرار في القرآن الكريم: حزن أم موسى على رضيعها -عليه السلام- بلاغا واعجازا، مصر: جامعة الأزهر، 2017م، (212).

وينفعا ويكون ذخرًا لنا،¹ ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلْيُضْمَعِ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: 39]. أي ستكبر وترى بحفظي ورعايتي وحراستي.²

ولا يُنسى موقف امرأة فرعون الإيماني المكلل بالرافة وال، حينما أنقذت موسى عليه السلام من القتل، فخطبت فرعون بقولها لا تقتلوه تعظيماً له ولمن معه: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَوَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 9]، حدثته بلباقة حتى تحصل على مبتغاها بإنقاذ الطفل من القتل، ويساعدها فيما عازمت عليه، وقالت: قرت عين لي ولك فقدمت نفسها عليه لأنها غير مطمئنة لنية فرعون تجاه الطفل، وفي الوقت ذاته فهي تعلم أن الطفل لن يكون قرّة عين له، وكذلك قالت: عسى أن ينفعا، وهذا دليل على افتقار فرعون للولد واحتياجه له على الرغم من امتلاكه لخزائن مصر، وقدمت النّفع على اتخاذ الولد لاحتمالية رفض فرعون فكرة التبني.³

المشهد الرابع: مشهد تحقيق الوعد (الإرجاع)

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ لِأُخْتَيْهِ قُصَيْيَةَ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 11] وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَمَا تَقَرَّرَ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ [القصص: 11-14].

انتقلت الآيات الكريمة للحديث عن دور أم موسى في تتبع وليدها، ﴿وَقَالَتِ لِأُخْتَيْهِ قُصَيْيَةَ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 11]، حيث طلبت أم موسى من ابنتها تتبّع خبر موسى، أحي

¹ ينظر: النخجواني، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، (76/2).

² ينظر: القرطبي: تفسير القرطبي، (78/17).

³ ينظر: بيدس، هالة حسني، خطاب المرأة اللغوي في القرآن، الجامعة الأردنية: عمادة البحث العلمي، المجلد40، ع2، 2013م، (229)

هو أم أكلته حيتان البحر ودوابه، وقد غاب عن ذهنها وعد الله لها بحفظه وردّه إليها، فقامت بمراقبته عن بعد لئلا يعلم أنها تتبع أثره ويكشف الأمر، وهذا دليل على فطنتها.¹

ثم بينت الآيات بعد ذلك تهيئة الأسباب لردّ موسى -عليه السلام- إلى أمه، حيث حرمّ الله تعالى المراضع عليه، فلم يقبل أي مرضعة، وكانت أخته ترقبه عن بعد؛ فلما رأتهم قد حاروا، قالت لهم: هل أدلكم على أهل بيت يعتنون به، فرجع إلى أمه؛ تحقيقاً لوعده الله، والتحريم في الآية الكريمة استعارة للمنع، لأنّ من حرم عليه الشيء فقد منعه، وذلك لأنّ الله منعه أن يرضع من غير أمه، فكان لا يقبل أي مرضع قطّ، حتى احتاروا في أمره،² وفي وسط هذه الحيرة ظهرت أخته فقالت لهم: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه ويهتمون بأمر رضاعته وتغذيته، قال تعالى على لسان أخت موسى: ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ﴾ [القصص: 12]، فسألوا من هؤلاء؟ وهل تعرف أهل الطفل؟ فأجابتهم أنها لا تعلم عنه شيئاً، ولكنها تعلم أنهم يريدون مسرة الملك، ولبن المرأة ترضع به ولداً ولد في السنة التي لم يقتل فيها الصبيان، فقالوا لها ائتينا بها، فذهبت مسرعة إلى أمها وقصّت إليها الحدث وأتت أم موسى إلى طفلها فحضنته ووضعت على ثديها وتدفق اللبن حتى ملأ جبينه، فلما رأته امرأة فرعون هذا طلبت من أم موسى البقاء معهم لإرضاع الطفل، لكن ردّ أم موسى كان فيه إباء فرفضت بحجة أنّ لديها طفل في البيت يريد الرضاعة، وعرضت عليها أن تأخذ الطفل إلى بيتها ترضعه مع ولدها وتعتني به، فوافقت امرأة فرعون حيث لم يبق لها إلا هذا الخيار.³

¹ ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (531/19).

² ينظر: الزمخشري. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. (396/3).

³ ينظر: عميرة: عيد الرحمن، رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآناً، القاهرة: دار الحرم للتراث، ط1، 2006م، (177/3-178).

فعدت أم موسى بولدها فرحة راضية مرضية مجبورة خاطر بعد أن أبدل الله خوفها أمناً، فلم يكن بين الشدة والفرح إلا قليل من الصبر، فسبحان الله الذي بيده الأمر كله، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، يجعل للمتقين بعد الهَمِّ فرجاً، وبعد الضيق مخرجاً.¹

ثانياً: أم مريم عليها السلام

لله سبحانه وتعالى أحباب وأصفياء وأولياء، فأخبر في كتابه العزيز أنه اصطفى آدم واختاره وميزه عن جميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَعَآلَ عِمْرَانَ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 33]، فقد ميز آدم بأن خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة بالسجود له، وأسكنه جنته وأعطاه من الفضل والعلم والحلم ما تميز به عن سائر مخلوقاته، لهذه فضل بنيه فقال في كتابه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوُجُوهِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَوَضَعْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70]، واصطفى كذلك نوحاً عليه السلام، فحين عبد أهل الأرض الأوثان كان أول رسول إليهم، وألهمه الصبر ووقفه إلى الشكر والدعوة إلى الله في كل وقت، فأغرق الله سبحانه أهل الأرض ونجاه ومن معه بدعوة منه، قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ فِي الْفُلِ الْكَافِرِينَ﴾ [الشعراء: 119-120]، وجعل ذريته هم الباقون، وترك له ثناء ومدحاً يُذكر على مدى العصور، وكذلك اصطفى إبراهيم خليل الرحمن الذي بذل نفسه للنيران وقدم ابنه قرباناً ودعا ربه سراً وجهراً، ليلاً ونهاراً، وجعله قدوة لمن بعده.

كما اصطفى آل عمران، والمراد بعمران والد مريم أم عيسى عليهما السلام،² ويدخل في آل عمران كل

¹ ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (224/6).

² ينظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، (33/2).

الأنبياء الذين بعثوا بعده لأنهم من ذريته، ومنهم نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فكان سيد المرسلين الذي اصطفاه الله من ولد إبراهيم.¹

قال البيضاوي: "إنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية، ولذلك قَوُوا على ما لم يَقُوا عليه غيرهم"².

وبعد أن ذكر الله تعالى فضائل هذه البيوت العظيمة ذكر قصة امرأة عمران ووهبها مريم عليها السلام، وما جرى لمريم أم عيسى وكيف لطف الله بها ونشأتها وتربيتها،³ فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ أُمْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: 35].

اسمها ونسبها:

وامرأة عمران: هي أم مريم ابنة عمران، وجدة عيسى ابن مريم صلوات الله عليه.⁴

المشهد الأول: مشهد الدعاء والنذر.

ذكر ابن كثير أنه لم يسبق لأم مريم عليهما السلام أن حملت، فدعته سبحانه أن يهبها غلاماً واستجاب الله دعاءها وحملت.⁵

المشهد الثاني: مشهد الوضع.

فلما وضعت أم مريم ما في بطنها قالت: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ [آل عمران: 36].

¹ ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (128/1).

² البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (13/2).

³ ينظر: السعدي، تفسير السعدي، (128/1).

⁴ ينظر: الطبري، تفسير الطبري، (328/6).

⁵ ينظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، (28/2).

[36]، وهذا الخبر ليس القصد منه الإخبار بل الاعتذار لله والتحزن والتحسر، فهي نذرت أن تهب وتحرر ما في بطنها لبيت الله وعبادته، والأنثى عادة لا تصلح لهذا، كون الذكر أقدر وأقوى منها، فإن المرأة تعتريها أيام حيض، وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ [آل عمران: 36]، أي إن الله سبحانه أعلم بمكانة الأنثى وأنها خير من الكثير من الذكور، وفي هذا القول دفع لما يوهم قولها من خسة وانحطاط مكانة الأنثى، بل هي خير وأفضل مما كانت ترجوه من الذكر، فسمتها مريم ودعت ربها أن يعيذها هي وذريتها من الشيطان الرجيم، وفي هذا دليل على تسمية الولد وقت الولادة، وأن من حق الأم تسميته إذا لم يكره الأب ذلك.¹

المشهد الثالث: مشهد القبول.

فتقبلها الله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: 37]، أي جعلها الله نذيرة مقبولة وأنبتها نباتاً حسناً في بدنها وأخلاقها وحلقها.²

ثالثاً: أم عيسى عليهما السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 42]

ذكر الله تعالى في هذه الآية الاصطفاء ثم التطهير ثم الاصطفاء، فكرر الاصطفاء، ولأن التصريح بالتكرار في القرآن الكريم غير لائق فكان لكل منهما معنى مختلف عن الثاني،³ فالاصطفاء الأول حين

¹ ينظر: رضا، تفسير المنار، (237/3).

² ينظر: السعدي، تفسير السعدي، (128/1).

³ ينظر: الرازي، تفسير الرازي، (217/8-218).

قبولها نذراً من أمها التقية البرة، واختيارها لسدانة بيت المقدس، أما الاصطفاء الثاني فهو حين اختارها الله لتكون أمّاً لمن لا أب له، وما بين الاصطفاءين تقى وطهر وعفاف.¹

"وإعادة النداء في قول الملائكة: ﴿يَمْرِيْمُ أَقْنَتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِيْنَ﴾ [آل عمران: 43] لقصد الإعجاب بحالها، لأن النداء الأول كفى في تحصيل المقصود من إقبالها لسماع كلام الملائكة، فكان النداء الثاني مستعملاً في مجرد التنبيه الذي ينتقل منه إلى لازمه وهو التنويه بهذه الحالة والإعجاب بها"² وقال الراغب الأصفهاني: أن المقصود من القنوت هو المداومة على الطاعة سواء أكانت صلاة أو غيرها من العبادات،³ كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الزمر: 9]، وقوله: ﴿وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِيْنَ﴾ [آل عمران: 43] وقال الله سبحانه وتعالى الراكعين ولم يقل الراكعات كون دلالتها تشمل الرجال والنساء إذا اجتمعوا.⁴

المشهد الأول: الإبلاغ.

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْوِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [مريم: 16-21]

¹ ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، (1211/3)

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، (243/3).

³ ينظر: الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، (556/2).

⁴ ينظر: الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (436/1).

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾

قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ

لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴿آل عمران: 45-47﴾

بدأ الله سبحانه وتعالى الآية الكريمة بالذكر، والمقصود به التلاوة: أي اتل يا محمد خبر مريم الذي نقصه عليك، وفي هذا الافتتاح تشويق للسامع أن يتعرف ويتدبر القصة، والمراد بالكتاب هو القرآن، لأن القصة من جملة القرآن.¹

فأراد الله سبحانه وتعالى -وله الحجة والحكمة البالغة- أن يخلق من مريم عبده ورسوله عيسى عليهما السلام، فاعتزلت مريم أهلها والناس، واتخذت دونهم مكاناً شرقياً، واتخذت من دونهم حجاباً فاستترت، فأرسل الله تعالى جبريل على صورة إنسان كامل حتى ظننت مريم أنه يريد لها عن نفسها،² فقالت له:

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ [مريم: 18]، أي إنها التجأت إلى الله برحمته حتى لا

ينالها بسوء، فخاطبت جبريل بتقوى الله قائلة: إن كنت تخاف الله وتتقيه فلا تمسني بسوء، فجمعت مريم بين الاعتصام بالله وترهيبه بالتقوى، وفي هذا الموضع كانت بعيدة عن البشر وخالية مع رجل باهر في الجمال لم يتعرض لها وهذا أبلغ ما يكون من العفة وهو من أفضل الأعمال، لذلك أتتى الله عليها، فقال:

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهُ

وَكَانَتْ مِنَ الْغَالِيَاتِ ﴿١٢﴾﴾ [التحریم: 12]، فكافأها الله بولد من آيات الله ومن رسله، فلما رأى جبريل روعها

وخيفتها قال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم: 19]، أي إن جبريل رسول

¹ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (79/16).

² ينظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، (195/5).

من الله وظيفته تنفيذ أمر رب العالمين، وهو الغلام الزكي المطهر من الخصال الذميمة المتّصف بالخصال الحميدة، لكن مريم مع هذا تعجبت وقالت: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: 20]، فكيف تحجب مريم الولد ولم يسبق لها الزواج ولم تزن - والعياذ بالله-¹ "وجعل المس عبارة عن النكاح الحلال، لأنه كناية عنه، كقوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ [البقرة: 236]، والزنا ليس كذلك، فاطمأنت إلى قوله، فدنا منها فنفخ في جيب درعها، فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت"،² فقال جبريل: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 21].

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: 45]، فنشأ عيسى عليه السلام من نفخة ملك زكي -جبريل عليه السلام-، فأنت هذه الروح الزكية، فسماه الله وجيهاً في الدنيا والآخرة ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: 45] أي له وجاهة عظيمة في الدنيا فهو من أولي العزم من الرسل أصحاب الشرائع، وأكرمه الله في الدنيا بأن نشر ذكره في مشارق الأرض ومغاربها، وجعله في الآخرة وجيهاً، ومن أقرب الخلق إلى ربهم.³

وقد تفاجأت مريم عليها السلام بهذا الكلام فقالت: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: 47]، فالولد عادة يكون من مسّ البشر، واستغرابها هذا بعيد كل البعد عن شكها في قدرة القادر

¹ ينظر: السعدي، تفسير السعدي، (492/1).

² الزمخشري، الكشاف عن حقائق الغوامض والتنزيل، (10/3).

³ ينظر: السعدي، تفسير السعدي، (130).

سبحانه، فأخبرها الله تعالى أن هذا أمر خارق للعادة، خلقه القادر بقدرته فهو القائل للشيء كن فيكون، فالمتيقن بقدرته زال عنه الاستغراب والتعجب.

ومن حكمة الله أن يتدرج بأخبار العباد من الغريب إلى الأغر، فذكر أولاً وجود يحيى بين أبوين يصعب عليهما الإنجاب بل يستحيل ذلك؛ لأنّ الوالد كان كبيراً والأُم عاقراً، ومن ثم ذكر الأمر الأغر وهو وجود عيسى من غير أب ليقول لعباده أنه القادر على كل شيء وهو الفعّال لما يريد، إذا قال للشيء كن فيكون،¹ ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا فَضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 47]، وسمى الله سبحانه وتعالى هبة مريم -عيسى- بالكلمة²، فقال في كتابه: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ

فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59]، وفي هذا إشارة لقدرة الله على خلق الأشياء دفعة واحدة كقدرته على خلقه مدرجة³.

قال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: 46]، فكلم عيسى عليه السلام الناس وهو في المهد صغيراً ويكلمهم كذلك وهو كهلاً -كبيراً- كلام الأنبياء⁴، "والمهد: الموضع الذي مهد لنوم الصبي."⁵

المشهد الثاني: ولادة مريم عليها السلام.

قال تعالى: ﴿وَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [آل عمران: 46] ﴿فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبَلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾ [آل عمران: 47] ﴿فَنَادَى مِنَ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ

¹ ينظر: السعدي، تفسير السعدي، (130/1).

² ينظر: الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، (560/2).

³ ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي، (17/2).

⁴ ينظر: أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، ت: 982هـ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (37/2).

⁵ الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (438/1).

سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ
الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ [مريم: 22-26]

بعد أن أخبر جبريل مريم عليهما السلام بأمر الله، خضعت لإرادته فنفخ جبريل في درعها وحملت، ثم اعتزلت الناس وابتعدت عنهم في مكان بعيد حتى لا يقولوا ما لا يعينهم ويقلقها فضولهم، فكان حملها يؤنسها في وحدتها، لكن جاء ما كان منتظرا وهو ولادتها، فجاءها المخاض -مقدمة الولادة- كانت بحاجة إلى سند تعتمد عليه من شدة ألمها فاتكأت إلى جذع النخلة وهي مكرهة من كثرة الألم، قال تعالى واصفا ألم الولادة: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: 15]، وقد سبق تفسير وتوضيح الآية الكريمة، وقد كانت مريم في كربتين الأولى: أنها حملت ورضيت بحكم الفطرة وهو كره الولادة، والثاني: أنها طاهرة بريئة فيكف ستكون نظرة قومها إليها وما سيلحقونه بها من العار، فقالت: ﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّوَسِيًّا﴾ [مريم: 23]، فلسان حالها كان يقول: يا ليتني مت قبل أن أرى هذا الألم، أو أقف موقف المتهم، -وهذا هو حال الأمّ تأنس وتفرح بحملها وتكاد وقت الولادة تنقطر ألماً- وتمنت مريم الموت فراراً من الاتهام الظالم، وردة فعل مريم هذه لم تكن اعتراضاً على حكم الله ولا كراهة منها بما هو آت، إنما هو ضعف اعتراضها وصعوبة الفترة التي تمر بها، فكانت راضية بقضاء الله غير متمردة على طاعته؛ ففي هذا الوقت الصعب تمننت لو كانت شيئاً تافهاً لا يكثرث لأمره وينسى، وهذا كله استحياء بل فرط حياء، فهي العفيفة التي لم تُعرف إلا بهذا، ولا يُعقل أن ينساها الخالق في مثل هذا الموقف العصيب، فنادها من تحتها ألا تحزني، قد جعل الله من تحتك قابلاً يستقبل الغلام الزكي كما تستقبل القابلة المولود، (وقيل سرياً جدولاً، وهو النهر الصغير)¹، وسخر رب العالمين روح القدس ليكون عوناً لها، فهي لم يسبق أن خاضت تجربة الميلاد وألمه، ثم أمرها جبريل أن تهز بجذع النخلة فيسقط عليها رطبها تأكلها ليقوى

¹ ينظر: مكِّي بن حَمْوَش، أبو محمد مكِّي بن أبي طالب، (ت: 437هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، الشارقة: جامعة الشارقة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط1، 1429هـ، (4515/7).

جسدها بعد هذا الألم، وهذا دليل على حماية الله لها،¹ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: 25]، والرطب هو التمر الذي لم يتم جفافه، ومن ثم أوحى الله لها على لسان جبريل أن لا تكلم أحداً قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرِيءُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [٣٥] يَاخْتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا [٣٨] فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا [٣٩] قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا [٤٠] وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا [٤١] وَبَرًّا بِوَالِدَاتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا [٤٢] وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا [٤٣] ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ [٤٤] مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: 26]، لتستريح من مجادلة الجهلة ومن كثرة أسئلتهم، وكان الامتناع عن الكلام من عبادة الشرائع السابقة.²

المشهد الثالث: مريم وقومها بعد الولادة.

قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرِيءُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [٣٥] يَاخْتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا [٣٨] [مريم: 27-35]

بعد أن وضعت مريم حملها واطمأنت بما رأت من آيات الله التي استأنست بها وسلمت أمرها لله واستسلمت لقضائه، أنت بعيسى إلى قومها تحمله من ذلك المكان القصي، قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرِيءُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [٣٥] يَاخْتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ

¹ ينظر: أبو زهرة، زهرة التقاسير، (4625/9).

² ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (90/16).

أُمَّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ [مریم: 27-28]، فتعجب أهلها من عظم الأمر، وقابلوه بالاستتكار ولسان حالهم يقول: يا
 مریم لقد فعلت منكراً عظيماً عجباً وهو خارج عن المألوف، فكيف بولد بلا أب؟! وكان أهلها من أهل
 الصلاح، فما كان أبوها فاجراً، ولم تكن أمها زانية، فتساءلوا من أين لها هذا؟¹ فأشارت إلى المهد وقالوا
 لها: كيف نكلم صغيراً رضيعاً في مهده؟ قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي
 الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مریم: 29]، فأنطق الله تعالى بقدرته عيسى الذي أقر أنه عبد الله ورسوله، ومعلماً
 للخلق أين ما يكون، وأوصاه الله وأمره بإتمام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يكون باراً بوالدته ما دام حياً.² قال
 تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي
 بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ
 وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مریم: 30-33].

¹ ينظر: الزحيلي، التفسير المنير، (81/16).

² ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، (373-374).

المبحث الثاني: نموذج للأمم السلبية

زوجة نوح عليه السلام.

للأم الأثر الكبير في عقيدة أبنائها، فهي القدوة والمعلمة الأولى، ونموذج ذلك امرأة نوح عليه السلام التي كفرت وأبت الخضوع لله عز وجل، وتمادت في طغيانها وكفرها، فانعكس ذلك على ابنها فلم يؤمن بالله.

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۗ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغَيِّرْ عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: 10]

كفرت امرأة نوح فلم تؤمن بالله، وقد خانَت زوجها النبي نوح عليه السلام بأن بغت، والمقصود بالبغي أنها كانت على غير دينه، وكانت تقول للناس بأنه مجنون، وتطلع على سره فتخبر الجبارة عن كل من يؤمن به.¹ فقد أشار القرآن الكريم إلى دورها العقدي في كفر ابنها.

أرسل الله سبحانه نوحاً إلى قومه يدعوهم لعبادته وينهاهم عن الشرك، فرد قومه دعوته، ولم يؤمن به إلا القليل منهم على الرغم من الآيات المؤيدة لنوح عليه السلام، والتي تجزم لهم صدقه، فأمره بطرد أولياء الله، ولما رآه لا ينكف عما كان عليه من دعوتهم، ولم يدركوا منه مطلوبهم، فقالوا يا نوح قد أكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين فما أجهلهم وأضلهم، حيث قالوا هذه المقالة، لنبيهم الناصح، فأجابهم نوح عليه السلام بأن هذا العذاب بمشيئة الله، إن اقتضى فليس بيده شيء،² فأوحى الله سبحانه إلى نوح أنه لن يؤمن به إلا من قد آمن فلا يحزن، فامتثل نوح لأمر ربه، وأخذ بصنع السفينة كما أرشده ووجهه لنجاته هو والمؤمنين، وإغراق المشركين، وكان كلما مرّ عليه جماعة من قومه وهو يعمل في

¹ ينظر: البغوي، تفسير البغوي، (170/8).

² ينظر: السعدي، تفسير السعدي، (1/328).

السفينة، هزئوا منه وأسمعوه ما يؤذيه من قوارص الكلم، ولكنّ نوحا يعلم ما وراء هذا الأمر الذي هو قائم عليه، إنه النجاة له، والهلاك للقوم الظالمين، فهم إن سخروا منه اليوم، فإنه سيسخر منهم حين ينكشف لهم الأمر، ويحلّ بهم البلاء، فانتظر حتى أتى أمر الله،¹ فحمل نوح عليه السلام من كل زوجين اثنين وحمل أهله، إلا من سبق عليه القول منهم وهو ابنه، وحمل من آمن، فكانوا جميعهم في السفينة، فأنزل الله المطر على الكافرين ليغرقهم، وهنا تحركت عاطفة الأبوة الفطرية في نفس نوح، فنادى على ابنه خشية الغرق، وقد عزل نفسه فرارا ولكن لا فرار من قضاء الله المحتوم، فقال مغرورا مخدوعا بأنه سيأوي إلى جبل يعصمه من الغرق، فقال نوح أنه لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم، فأغرق الله المشركين جميعهم.²

¹ ينظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (6/1406-1411)

² ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، (7/3702-3712).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على إمام الهدى سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فهذه خاتمة تبرز أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وعرض لبعض التوصيات المؤمل القيام بها.

أهم النتائج التي توصلت إليها:

1. حظيت المرأة بكامل حقوقها في ظل الدين الإسلامي، في وقت كانت المرأة في غابة ظلم موحشة، وفي زمن عمّ فيه مهانة المرأة ووأدها، فجاء الدين الحق ليرفع مقامها حتى تأخذ مكانة لم تعهدها من قبل، وأكرمها الله بحقوقها كاملة كما ينبغي لها.
2. إن الأسرة هي اللبنة الأساسية والأولى في بناء أي مجتمع، وإن قوام وصلاح هذه اللبنة يرتكز على أسس وأعمدة تقوم عليها، وأول هذه الأسس صلاح الوالدين.
3. إن أعظم وأسمى مهمة ألقاها على عاتق الأم هي الأمومة، وهي مهمة لا يقوى عليها حتى الرجال، لذلك فإن على الأم أن تراعي حق الله سبحانه وتعالى، ولا تفرط فيه على حساب المشاغل الأخرى.
4. وبقراءة لإحصائية وعدد ما ذكر في القرآن الكريم من لفظ (الأم) ومعاني الأمومة، تبين أن وردت تصريفات الأم في القرآن الكريم في اثنتين وعشرين سورة، ووردت تصريفات الأم في القرآن الكريم خمس وثلاثون مرة، ثلاث وعشرون مرة مكية، واثنتا عشرة مرة مدنية.
5. اعتمد القرآن الكريم منهج القدوة الحسنة في شتى مجالات الحياة، وفي مختلف الأماكن والأزمان، باعتبارها من أنجح الوسائل وأكثرها تأثيراً في النفس البشرية.
6. في القصص القرآني عن أخبار الأمهات ما يبرز صفة إخلاص النية عند الأم، فهي الصابرة المحتسبة على كل عمل تقوم به، وكل جهد تبذله مع أولادها؛ من تربية وتعليم ورعاية، لأن الأمهات

- اللواتي ذكرت قصصهن في القرآن يعلمن أن بالإخلاص تُكسب مرضاة الله وعظيم أجره، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن وابتغى وجهه، فكل ذرة تعب وجهه مسجلة عند أرحم الراحمين.
7. الأم لها دور كبير في تربية أبنائها تربية صالحة مصلحة، فهي أساس البيت، وعليها أن تغرس حب الله ورسوله وطاعتها في قلوب أبنائها.
8. بين الدين الاسلامي أن للتربية النفسية أثر كبير في نشأة الأبناء، وعني بنفسيتهم أيما عناية، وتبدأ هذه العناية والإعداد النفسي بدعاء الأم ربها أن يجعل ما في بطنها صالحا رحيمًا، ويحفظه بحفظه، ويبعد عنه الشيطان ورجسه، وتتوي أن تجعله خادماً للإسلام والمسلمين كما فعلت امرأة عمران عندما نوت أن تجعل ما في بطنها محرراً، وعلى الأم أن تتابع أبنائها، وترشدهم لاختيار الرفيق الصالح الذي تستقيم معه أمور دينهم ودنياهم.
9. ذكر الله تعالى في القرآن الكريم مدة الرضاعة وهي سنتان، ولكن ليس على سبيل الوجوب، وتقدر بحسب حاجة الرضيع، وبذلك أيضا يضمن حق الأم في الرضاع.

التوصيات:

توصي الباحثة بما يلي:

1. توعية النساء؛ لأن المرأة الواعية تبني بيتاً أساسه متين قلما يتعرض للهدم والخراب.
2. الحرص الشديد على تنشئة الأبناء تنشئة إسلامية منذ نعومة أظافرهم؛ ليكونوا ذخراً لأبائهم يوم القيامة.
3. أوصي الباحثين ببحث ما تبقى من الأحوال الشخصية المتعلقة بالأم، كالنفقة والميراث.
4. أوصي الباحثين التطرق إلى أبواب الفقه الأخرى، والتي تتعلق بجانب الأم كالعقوبات والشهادات مثلاً.
5. أوصي الباحثين للتطرق عن الأبوة في القرآن الكريم.

قائمة المصادر والمراجع

الأبرش، مها عبد الله عمر، الأمومة ومكانتها في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1996م.

أحمد مصطفى، محيي الدين، (1403هـ)، إعراب القرآن وبيانه، حمص/ دمشق/ بيروت: دار الإرشاد للشئون الجامعية/ دار اليمامة/ دار ابن كثير، ط 4، 1415هـ.

أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، (ت241هـ) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة: دار الحديث، ط1، 1416هـ، أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، ح (6540)، (111/6).

أحمد، أحمد محمد، بعض الأسس التربوية في ضوء القرآن والسنة، كلية التربية: جامعة أسيوط، العدد2، 2000م.

أحمد، مهدي بن رزق الله، مزاعم وأخطاء وتناقضات وشبهات بودلي في كتابه «الرسول، حياة محمد» دراسة نقدية، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، 2010م.

ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، (ت: 1420هـ)، الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط4، 2002م.

ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، (ت: 1420هـ)، مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، جمعها: عبد الرحمن بن محمد الحميزي، دار العاصمة.

بالي، وحيد بن عبد السلام، الطريق إلى الولد الصالح، السعودية: دار الضياء للنشر والتوزيع، 2011م.

البخاري: عبد الله بن الرحيم، حقوق الأولاد على الآباء والأمهات، مصر: دار السلف للنشر والتوزيع، 2011م.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (ت256هـ) صحيح البخاري، دار طوق النجاة ط1، 1442هـ، (كتاب المغازي: باب حديث كعب بن مالك)، ح(441)، (3/6).

البغوي، الحسين بن مسعود الفراء، (ت: 516هـ) تفسير البغوي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ.

أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ط1، 2000م.

أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ط2، 1998م.

بلحاجي، فتحية، قصة النبي إسماعيل عليه السلام بين الثابت القرآني والمتحول الشعبي، جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان -، 2004م.

بيدس، هالة حسني، خطاب المرأة اللغوي في القرآن، الجامعة الأردنية: عمادة البحث العلمي، المجلد40، ع2، 2013م.

البيضاوي، أبو سعيد عبد الله الشيرازي، (ت: 685)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ.

البيلي البدوي، أحمد عبد الله، (1384هـ)، من بلاغة القرآن، القاهرة: نهضة مصر، 2005م.

الترمذي، محمد بن عيسى الضحاك، (ت: 279)، سنن الترمذي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1،
1998م.

التوحيدي، محمد بن إبراهيم، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، ط11، 1431هـ.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، (ت: 1984م)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لبنان:
مؤسسة الرسالة، ط1، 1984م.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت 393هـ)، الصحاح، بيروت: دار العلم للملايين. ط 4. 1990م.

الحليمي، أبو عبد الله الحسين بن الحسن، المنهاج في شعب الإيمان، تحقيق: حلمي محمد فودة، بيروت:
دار الفكر - بيروت، ط1، 1979م.

حوى، سعيد، (ت: 1409هـ)، الأساس في التفسير، القاهرة: دار السلام، ط6، 1424هـ .

حيدر، حسين عبيد، لفظ الأم في القرآن الكريم دراسة دلالية.

الخازن، أبو الحسن علي بن محمد، (ت: 741هـ) تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، دار
الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415هـ.

الخطيب، عبد الكريم يونس، (1390هـ)، التفسير القرآني للقرآن، القاهرة: دار الفكر العربي.

خليل، عادل محمد، أول مرة أتدبر القرآن، قدم له: فهد سالم الكندري، محمد الحمود النجدي، عبد المحسن
زين المطيري، الكويت: شركة إس بي، ط13، 2017م.

ابن عابدين: محمد أمين، حاشية ابن عابدين، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي
وأولاده، ط2، 1966م.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (ت: 1393هـ) التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، ط1، 1984.

ابن فارس، أحمد بن فارس، (ت: 395هـ): معجم مقاييس اللغة. دار الفكر، ط1، 1979م

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت: 276)، غريب القرآن، دار الكتب العلمية، ط1، 1978.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ت: 751هـ)، تحفة المودود بأحكام المولود، دمشق: مكتبة دار البيان، ط1، 1971م

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ت: 751هـ)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، السعودية: مكتبة دار التراث، ط3، 1989م.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ت: 751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1996م.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ت: 751هـ)، مدارج السالكين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 2003.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت: 774هـ)، البداية والنهاية، دار الفكر، ط1، 1988.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، (ت: 606هـ) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، بيروت: دار الكتب العلمية، مج (16)، ط1، 2000م.

الرازي، محمد بن عمر، (ت: 606)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت: 502هـ)، تفسير الراغب الأصفهاني، الرياض: دار الوطن، ط1، 2003هـ.

الرافعي، قاسم الشماعي، المختار في المواعظ والأحكام والأخبار، بيروت: المكتبة الإسلامية، ط1، 1986م.

رجب، مصطفى، التربية الوالدية في ضوء القرآن والسنة، جمعية الثقافة من أجل التنمية، عدد 58، 2012
رجب، مصطفى، دور الأم في التربية من منظور إسلامي، مجلة التربية: اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، ع123، 1997م.

الرشدان: لبنى حسين، دور الأم المسلمة في إعداد العلماء، جامعة اليرموك: الأردن، 1994م.

رضا، محمد رشيد بن علي، (1354هـ)، تفسير المنار، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1990م.

رضوان، أحلام حسن عبد الله، التربية بالقدوة، المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية، مج (6)، ع(3)، 2019م.

الرفاعي، نعيم، الصحة النفسية "دراسة في سيكولوجية التكيف"، جامعة دمشق، سورية، 2008م.

الزبيدي، أبو الفيض محمد الحسيني، (ت1205هـ)، تاج العروس، دار الهداية.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دمشق: دار الفكر المعاصر، ط2، 1418هـ.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، دمشق: دار الفكر، ط1، 1422هـ.

الزرنوجي، الإمام برهان الدين، (ت:593هـ) تعليم المتعلم طريق التعليم، القاهرة: مكتبة القرآن للطبع

والتوزيع، ط1.

الزعبلاوي، الدكتور محمد السيد محمد، الأمومة في القرآن الكريم والسنة النبوية، بيروت: دار ابن حزم،

ط6، 1998م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،

بيروت: دار الكتاب، ط3، 1407هـ.

الزهراني، مرزوق بن هياس، حقوق المرأة في ضوء الكتاب والسنة، ط1، 1428هـ.

الزين، علي بن سليمان بن محمد، بلاغة حديث القرآن عن قصة أم موسى، مصر: جامعة الأزهر،

2019م.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تفسير السعدي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، قصص الأنبياء، تحقيق وتعليق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود،

بيروت: دار ابن حزم للنشر والتوزيع، 2002م.

أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، ت: 982هـ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،

بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن منظور: أبو الفضل، محمد بن مكرم، (ت: 711هـ)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط3،

1414هـ.

أبو الطيب محمد شمس الحق، عون المعبود بشرح سنن أي داود، بيروت: دار الكتب العلمية للنشر، ط2،
1995م.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، (ت: 1394هـ)، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.

آل سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت: 1376هـ)، بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح
جوامع الأخبار، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط1، 2002م.

السماطوي، نبيل، بناء المجتمع الإسلامي، القاهرة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط3، 1998م.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، (ت: 375هـ)، بحر العلوم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1،
1993م.

السمعاني، منصور بن محمد، (ت: 489هـ)، تفسير القرآن، الرياض: دار الوطن، ط1، 1418هـ.

السيد، عاطف. التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها. ط1.

الشعراوي، محمد متولي، (ت: 1418هـ)، تفسير الشعراوي، 1997م.

الشعراوي، محمد متولي، (ت: 1418هـ) التربية الوالدية في الإسلام، مصر: المكتبة التوفيقية، ط1.

الشلهوب، عبير بنت خالد، دعوة العاملات المنزلية إلى الله تعالى، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ط1،
2013.

الشنقيطي، محمد بن محمد المختار، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، دار ابن كثير: دمشق، ط1، 1414هـ.

الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، القاهرة: دار الصابوني، ط1، 1417هـ.

صقر، شحاتة محمد، دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ، الإسكندرية: دار الفتح الإسلامي،

الطبري، محمد بن جرير، (ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.

الطبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت: 743هـ)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية

الطبي على الكشاف)، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 2013م.

عبد الباقي، محمد فؤاد، (ت: 1976م)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة: مطبعة دار الكتب

المصرية، 1945م.

عبد الرحمن، ياسر، موسوعة الأخلاق والزهد والرفائق، القاهرة: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة،

2007م.

عبد الغفار، محمد حسن، مهمات في أحكام المواريث.

عبد المجيد، أماني محمد هاشم، من مظاهر الأبحزان في القرآن الكريم: حزن أم موسى على رضيعها

-عليه السلام- بلاغا واعجازا، مصر: جامعة الأزهر، 2017م.

العثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم "سورة الزمر"، المملكة العربية السعودية: مؤسسة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط1، 1436هـ.

العز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز، (ت: 660هـ)، تفسير العز بن عبد السلام، ط1، بيروت:

دار ابن حزم، 1996م.

العز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين بن عبد العزيز، (ت: 660هـ)، شجرة المعارف والأحوال وصالح

الأقوال والأعمال، دمشق: دار الطباع للنشر والتوزيع، 1989م.

عزام، أحمد، الاعداد النفسي للطفل في ضوء الكتاب والسنة، جامعة القدس المفتوحة، ع9، 2007م.

العظيم آبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق، عون المعبود بشرح سنن أبي داود، بيروت: دار الكتب

العلمية للنشر، ط2، 1995م.

عكاشة رائد جميل، وزيتون منذر عرفات، الأسرة المسلمة في ظلّ التّغيرات المعاصرة، عمان: دار الفتح

للدراسات والنشر، ط1، 2015م.

علوان: عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، مصر: دار السلام للطباعة والنشر، 38، 2002م.

علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: دار الساقى للنشر، ط4.

عميرة: عبد الرحمن، رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا، القاهرة: دار الحرم للتراث، ط1، 2006م.

العودة، سليمان بن حمد، شعاع من المحراب، المملكة العربية السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع، ط2،

2013م.

غلوش، أحمد أحمد، دعوة الرسل عليهم السلام، مؤسسة الرسالة، 2002م.

الفرايدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، (ت 170هـ)، العين، دار ومكتبة الهلال، ط1،

الفريخ، حامد بن يعقوب بن يوسف، بر الوالدين في القرآن الكريم دراسة موضوعية، السعودية: الجامعة

العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، العدد: 9، 2011م.

الفيروز آبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب، (ت 817هـ)، القاموس المحيط، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط8،

2005م.

القاسم، عبد الملك بن محمد، لمحات في تربية البنات، دار القاسم.

قاسم، ريم عصام محمد، أحكام الأمومة في الفقه الإسلامي "النسب الحمل والرضاعة والحضانة"، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2015م.

القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ.

القحطاني، سعيد بن علي، تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، ط1، 2011م.

القحطاني، سعيد بن علي، الهدى النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، ط1، 2011م.

القحطاني، سعيد بن علي، أنواع الصبر ومجالاته - مفهوم، وأهميته، وطرق، وتحصيل في ضوء الكتاب والسنة، الرياض: مطبعة سفير، ط1، 2011م.

القحطاني، سعيد بن علي، مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - مفهوم، ونظر، وتطبيق، الرياض: مطبعة السفير للنشر، 1994م.

القحطاني، نورة مسفر عبد الله، مقومات الأم العربية في ضوء القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية المعاصرة، السعودية: كلية التربية: جامعة الملك خالد، 2020م.

القحطاني، نورة مسفر عبد الله، مقومات الأم المربية في ضوء القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية المعاصرة، مجلة شباب الباحثين في العلم التربوية: جامعة سوهاج، العدد 7، 2021م.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن الكريم، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط1، 1964م.

القزاز، محمد سعد، التربية الوالدية في مرحلة الطفولة المبكرة، مصر: دار فرحة للنشر والتوزيع، ط1، 2005م.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، (ت: 465هـ)، لطائف الإشارات، تفسير القشيري، مصر:
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3.

القطارنة، علي مفلح، العاطفة الفطرية بين الوالدين والأبناء، هدي الإسلام، ع:2، 2003م.

كيوان، أميرة الشناوي السيد، معالم إرشادية في تربية الأبناء، الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون
الإسلامية.

مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة
العامة لشئون المطابع الأميرية، ط1، 1993م.

مصلح، حامد بن محمد، القدوة الحسنة، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العدد10، 1990م.

المراغي، أحمد بن مصطفى، ت: 1317هـ، تفسير المراغي، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي
الحلبي وأولاده.

مسلم، بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، (ت261هـ)، صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث
العربي، ط1.

المصري، أبو العلاء محمد بن حسين، أسرار المحبين في رمضان، مكتبة التقوى ومكتبة شوق الآخرة،
ط1، 2005م.

مصطفى، نيفين محمد كمال علي، الأمومة في القرآن الكريم، مصر، جامعة عين شمس، كلية الآلسن،
1991م.

المصلح، حامد بن محمد، القدوة الحسنة، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العدد10، 1990م.

المقدم، محمد أحمد، محو الأمية التربوية، دروس صوتية قام بتفريغ بعضها موقع الشبكة الإسلامية.

مكي بن حمّوش، أبو محمد مكي بن أبي طالب، (ت: 437هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، الشارقة: جامعة الشارقة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط1، 1429هـ.

المنائي، عبد الرؤوف بن تاج، (ت: 1031هـ) التوقيف على مهمات التعاريف. القاهرة: عالم الكتب. ط1، 1990م.

المنبجي، محمد بن محمد، (ت: 785هـ)، تسلية أهل المصائب، لبنان: دار الكتب العلمية، ط2، 2005م.

المنجد، محمد صالح، الصبر، المملكة العربية السعودية: دار مجموعة زاد للنشر والتوزيع، ط1، 2009م.
نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط2، 2009م.

النخجواني، علوان، نعمة الله بن محمود، (ت: 920هـ)، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، مصر: دار ركابي للنشر، 1999م.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، (ت: 710هـ)، تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل، بيروت: دار الكلم الطيب، ط1، 1998م.

النيسابوري، الحسن بن محمد، (ت: 850هـ)، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ.

الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد، (ت: 370هـ)، تهذيب اللغة، بيروت: دار إحياء التراث العربي،
ط1، 2001م.

الواحي، أبو الحسن علي بن أحمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، بيروت: دار الكتب العلمية للنشر
والتوزيع، ط1، 1994م.

الملاحق

ملحق (أ)

الجداول

الجدول 1

تصريفات مادة (أم) في القرآن الكريم

التصريف	الرقم	الآية	السورة	مكية أم مدنية
أمه	1.	﴿إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ فَلِأُمَّهِ الثُّلُثُ﴾	النساء 11	مدنية
	2.	﴿إِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾	النساء 11	مدنية
	3.	﴿فَمَنْ يَحْلِكْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾	المائدة 17	مدنية
	4.	﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾	المائدة 75	مدنية
	5.	﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾	المؤمنون 50	مكية
	6.	﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾	القصص 13	مكية
	7.	﴿وَوَضَّيْنَا الْأَلْسَانَ بِيُولَدِيهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾	لقمان 14	مكية
	8.	﴿وَوَضَّيْنَا الْأَلْسَانَ بِيُولَدِيهِ إِحْسَلْنَا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾	الأحقاف 15	مكية
	9.	﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٢٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٢٥﴾﴾	عبس 34-35	مكية
	10.	﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٢٦﴾﴾	القارعة 9	مكية
أمهاتكم	1.	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ﴾	النساء 23	مدنية
	2.	﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾	النساء 23	مدنية
	3.	﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾	النحل 78	مكية
	4.	﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾	النور 61	مكية
	5.	﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاحَكُمْ الَّتِي فُطِّرْتُمْ مِنْهَا مِنْ أُمَّهَاتِكُمْ﴾	الأحزاب 4	مكية
	6.	﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾	الزمر 6	مكية

مكية	النجم 32	﴿ أَنشُرْ أَجِنَّةً فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ﴾	7.
مكية	الأحزاب 6	﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾	1.
مدنية	المجادلة 2	﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُمْ مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا آلٌ لِّكَ وَذَنبُهُمْ ﴾	2.
مكية	مريم 28	﴿ يَتَأَخَذَتِ هُنَّ مِمَّا كَانَ آبَاؤُكُمْ أُمَمًا سَوَاءً وَمِمَّا كَانَتْ أُمَّاتِكُمْ بَعْيًا ﴾	1.
مكية	طه 38	﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴾	2.
مكية	طه 40	﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾	3.
مدنية	ال عمران 7	﴿ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾	1.
مكية	الرعد 39	﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾	2.
مكية	الزخرف 4	﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينًا لَّعَلَّيْ حَكِيمٌ ﴾	3.
مدنية	القصص 7	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهٗ ﴾	1.
مكية	القصص 10	﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾	2.
مكية	الانعام 92	﴿ وَإِنذِرْ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾	1.
مكية	الشورى 7	﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ فُؤَادًا عَرَيفًا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾	2.
مكية	الاعراف 150	﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي ﴾	1.
مكية	طه 94	﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْرٌ لَا تَأْخُذُ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾	2.
مدنية	المائدة 116	﴿ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾	1.
مدنية	النساء 23	﴿ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ ﴾	1.
مكية	القصص 59	﴿ وَمَا كَانَتْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمَةٍ رَسُولًا ﴾	1.



An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

MOTHERHOOD
IS AN OBJECTIVE QURA'NIC STUDY

By
Liqā' Aysar Jaafar

Supervisor
Prof. Mohsen Al-Khaldi

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of
Master of Jurisprudence and Legislation, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National
University, Nablus- Palestine.**

2023

MOTHERHOOD IS AN OBJECTIVE QURA'NIC STUDY

By
Liqā' Aysar Jaafar
Supervisor
Prof. Mohsen Al-Khaldi

Abstract

This research aims to identify all Quranic verses that address the concept of motherhood. These verses have been categorized, organized, and presented based on their themes. The study is divided into five chapters.

The first chapter addresses the concept of motherhood and its significance in the Quran. It elucidates the linguistic and terminological meanings of motherhood, lists verses containing the term "mother," discusses their context in the Quran, and provides relevant interpretations from exegesis books.

The second chapter highlights the key elements of successful motherhood as depicted in the Quran. It begins with sincere intention for the sake of Allah, as the foundation of all actions. It then explores a mother's patience, endurance, raising children as good role models, avoiding harm to them, and concludes with the significance of making supplications for them due to its immense importance and gratifying outcomes. This chapter also includes a warning against invoking curses upon one's parents.

The third chapter elaborates on the rights and responsibilities of mothers from a Quranic perspective. It mentions raising children in obedience to Allah and His Messenger, their physical and psychological upbringing. Conversely, it emphasizes children's obedience and kindness towards their mothers, while clarifying the mother's right to inheritance.

The fourth chapter unveils the unbounded hardships and challenges faced by mothers. It begins with the difficulties of pregnancy and childbirth, followed by the challenges of breastfeeding, citing relevant Quranic verses.

The fifth chapter concludes by narrating examples of model mothers mentioned in the Quran, such as the mother of Moses, her patience and obedience to Allah's commands, the mother of Mary, her sincere intention to seek Allah's pleasure, and the mother of Jesus, her reliance on Allah and patience.

This study seeks to answer the following questions:

1. What is the linguistic and terminological concept of motherhood?
2. What are the meanings associated with the term "mother" in the Quran?
3. What are the essential components of successful motherhood in the Quran?
4. What are the duties and rights of mothers in the Quran?
5. What efforts and sacrifices do mothers make in the Quran?

The study concludes with various results, the most prominent being that women enjoy their complete rights within the framework of Islamic teachings. In a time when women suffered from oppression and humiliation, Islam emerged to elevate their status and grant them rights they had never experienced before, bestowing upon them full rights as they rightfully deserve.

Keywords: Motherhood, Mother, Elements of Motherhood, Quran